قصص قصيرة

# التعويذة

اشرف الخريبي

# الإهداء

إلي أبنائي أحمد و شريف

حبايب قلبي حتى أخر قطرة في عمري،
ما أشد المحن لكنا نقف بثبات وقوة في وجه هذا العالم...... صح
لا تخشوا شيئا ستمضى الأيام كما ينبغي
أتمنى لكما السعادة،
هذا وفقط مجرى حياتي لو تعلمون

# والدكم

## حارس الليل

القط الذي كان أليفا عندنا في البيت هاج مرة واستلذ البقاء علي وجه ابنتي الوحيدة كان يداعبها ثم يفاجئها بأظافره الحادة علي عينيها فصارت تفزع في الليل وتضرب وجهها بعنف كأنه لم يزل يسكن هناك. تصرخ بخوف هائل ويرتج كل جسدها الصغير أحضرت لها الطبيب فاتهمته بأنه القط ولكنه غير جلده إلي البياض..ابنتي التي أحبها تعاني من الألم ولا تنام ولا تهدأ ولكنها تستكين في أجفاني دوما وطيلة الليل في صراخ لا يمل التعب ولا يعرف السكون.رغم الإرهاق البادي علي جسدها النحيل.. ولكنها في النهاية ماتت.
نعم ماتت من الحسرة.

القط الذي كان أليفا عندنا في البيت..نام في أحضان زوجتي،وأحس بالدفء فاستكان ومدد قدميه وتمطي في هدوء علي فخذيها العريضتين.كنت غائبا وقتها عن البيت..
القط أخذ يمد فمه في هدوء يتسرب بخفة إلي صدرها ثم انه انثني بجسده اللولبي إلي ثدييها.حتى أمسك بالحلمات والتقطها وبدأ يسحب منها، يشد في نهم من ذلك الحليب الصافي وزوجتي في رضا تام.شعرت امرأتي كأنه القط ابنتي وأبقت عينيها مغمضتين لفترة طويلة. كان القط قد انتهي من كل شيء، عندما مدت يدها لتتحسس البنت التي ماتت اكتشفت شعره الكثيف، فتحت مقلتيها في فزع.. لكنها لم تستطع..كان كل شيء في البيت هادئا والأضواء مطفأة والأبواب مغلقة ونحن في منتصف الليل تقريبا.لم تستطع..تحسست بيديها يديها وصدرها وقدميها، توقف لسانها عن النطق إلا من حرف علة لا يمنح شيئا.كانت أفاقتها تعني إغماءة طويلة.هرولت إلي السلالم دون وعي
وسقطت .. سقطت من الفزع وراحت في غيبوبة طويلة. جاء الطبيب يرتدي نفس البالطو الأبيض في ردهة المستشفي. كان في عينيه نفس الحسرة والألم، ونفس التشخيص يحمله في يده.وباليد الأخرى يخبط علي كتفي.
القط الذي كان أليفا عندنا في البيت يرفع ذيله لأعلي ويتمطى حين يراني
ثم يقف علي قدميه الخلفيتين مستعدا لالتقاط ما في عينيّ من آلم وأنا لا أستطيع النظر في عيونه الطولية.كانت صورة زفافنا معلقة علي الجدار المقابل، سحبت الكرسي المتهالك وتهالكت عليه.كنت بمفردي معه في البيت ولا أستطيع الغياب.لم يكن أمامي سوي كسرة من خبز ناشف. وبقايا من تعبي في مواجهة ذلك القط الكبير الذي يسكن معي ليل نهار.

# ثلاثة أيام قصيرة

## تواصل..

**هكذا** في اللحظة المناسبة تماما توقف الجسد عن الصراخ وانفرط، صار كل شيء إلي خواء، خواء ووحشة.همدت الأنفاس في الفراغ واستقرت في الحلوق
لم يعد ممكنا،
لم يعد متاحا،
لم يعد محتملا،
لم اعد أعرف ماذا تماما !!

غير أن شيئا ما، أشار ذات صباح مليء بالانضباط إلي عواء وفزع، وكان علي آن أصرخ. أو أتحدث. كان علي أن أجري أو انفلت من اللحظة ذاتها، كان علي أن أتذكر شيئا ما، ولأن الموقف صار هزليا، كان الضحك،
هو الممكن الوحيد،
وهو المتاح الوحيد،
وهو الاحتمال الوحيد.

**( 2) تكاشف..**

أنا راحل في دمي.. مُتعثرا، استوضحني وأستمهل الشرايين وتستمهلني. تقودني الطرقات/ألمس جدران الذاكرة والوجوه الخبيئة. تشدني رائحتها

لما قالت: دعني أفتش في ذاكرتي عن شي يصح أن أقوله لك.. ترتج مسامعي وأتوقف عن النزف والنزيف لأسقط في الحد الفاصل بين شفتيها والبحر.في انحنائي أتمرغ قاطعا صوت السكون وصورتها ، رغم انقباضي التام في اللحظة ذاتها ..لكنها تظل حنينا ومدا فيّ تتطلع الصرخات.وتسقط الأزمنة، أغرق في النيل مُشتتا في أنحائها الضاربة في أعماق جذوري

وقالت: دعني أفرق بين تفاهتك وحلمي !!
دعني أحبك دون فزع أو ارتباك مرة واحدة !!

**(3) وجد..**

كانت تلملم بقاياها قاطبة تُشبك السويتان من الخلف وأنا أساوي أيامنا..
وأهزم التفاصيل 1، 2 ،3
مع مرور الوقت الذي عشناه، لم يعد يدهشني كثيرا صمتها وحزني،
كنت علي شاكلة من التردد والحيرة ورغم الارتباك، كانت داخلي تلك السكينة الممتعضة.. وانتظار لا يبدله أية ريبة أو خوف، حين تتلاقي أقدامنا في الطريق تائهة.تاركين في جدران البيت المُهدم ظلالنا عالقة. يأتي الصباح ويمحو كل شيء.. أكد كل منا لنفسه المنطقة التي غابت في انغمار الضوء لتتكاشف النظرات المنزوية وتسكن الأصوات مكانها.ولكنه كان لا يزال هو وحده الذي يحاورها ويسمعها، لتغيب في دوائره المنعقدة فوق عالمها الوحيد..

# الحصار

**يَبدأ** الفزعُ الهائل من جنوني بكْ.. يرسمُ أروقة ومسارات، علامات للدهشةِ والتخيل.

أرىْ جدي النائم في عتمِ الليلِ.

أراهن أن الشتاء أروع بكثير من كل الأيام التي مرت، وأن مسافة بيني وبين الحلم تتواري،وتخلق قسوة لا أعرفها

ألعن قسوة البرد ورائحة السجائر في غرفةِ مسدودةِ كسماءِ الغيمِ، طاولة بالية وأثواب قديمة، كتب مُكدسة كالعروق، فأقلب الرئيس عصفوراً والحصان اسم فاعل، قيم تتبادل النكات وتضعُ نفسها مكان الحروف فأبتسم للمونا ليزا بصبر ِعليها، من الوضع مبتسما تُحيرني الصورة في أي

وضع أكون، تنادى أمي دون سابق إنذار فأقفز في الوعي والهواء وأهتف أنها جاءت تلك التي أنتظرها، ألعن أبو الانتظار، لعلني أفقْ، غير أن الوقت كان باردا والحزن باردا، كل شيء كان باردا حتى رائحة العمر كانت....ولم تأت

أعترف لك للمرة الأولى في حياتي أنني أحبك !!.. كي يتسلل الحصار إلي الوقت حصار اليوم الذي يُعذبني في بقايا الثواني التي مرت أزمنة...،لم أكتشف في أي وقت خداعي لي، كي أعاصرني في مساحة أخرى من الحزن العميق، أعود يائسا في نفس ذلك المربع المليء بالشجن، كي أعرف صورتي من خلالك.أراني مُتاحا ثانية ومُمكنا أخيرا/وأخيرا أقف مبتسما نصف بسمة كما قال لي، تعبث بي المفردات في عالمك الأثيري فأصمت صمتا كراهب في......

أكـتب الكـلام كمـا يجـئ لرأسـي رأسـاً دون أن أنتبـه لتسـريب الـدفء مـن خجلـكِ المستحيلِ في أصابعي الواهنة كوطني ، أراهن ثانيـة علـى حبي لك واستمراري في الضغطِ علـى مـا تبقي مـن خـواء الروح أو هكذا مُعلقا عند حدِ النمو كـي أدخل في التفاصيلِ الصـغيرةِ والكبيـرة، قـدمي تضـرب فـي الأرض بعنـف.لفكرة جهنميـة عـن حضورك إليّ حالا.....

تَستطيل مساحة اللون بما يكفى كي أرى عُيونك تتسللُ إلى مفازاتِ الدهشة في أحلامي،

أصرخ في عيونك عبر صورة باهتة في جيبي، وأسألك، متى تأتين ؟

متى ستجيئين أخيرا؟

تحكمين على أعضائي بالانتباه لما حولها، كي أعرفني، أراقب كل شئ فيك بفزع؟ البيوت التي كانت والرصيف، تفاصيل مُهرة الشوق الحرون، لحظة الوداع الأخير، النخيل البهيج، اخضرار المزارع حين القُبل، صوت البنات يضحكن في مرح بريء بلا خجلا ، فهل تدقني التفاصيل الساخنة في آخر الشارع ليلا، كنت أبحث في الوجوه، أتفرس الملامح، لم تزل لحظة العطش الموسمي مغامرة فريدة ولا زلت أراك خطوتي الأولى الخائبة ونابليون يفتح مصر. يصرخ في المماليك وفى الخرائط يجوب الأرض شرقا وغربا باحثا عن كنوزك، يُعلن الناس عن مظاهرة كبيرة بلا سبب واضح وأعُلن عن مظاهرة صغيرة وحميمة كعينيك فأرجع لعصر أبعد كي أراك أقرب، نقرأ معا ما قال درويش عن العابرين والعبريون وعصور التوحش في عينيك لما لا تأتين؟

تخرجين من الحصار.. وأخرج من انتظاري؟

تعودين، تُمزقين مُعاهدة التفاوض وتُفاوضين معي مفاوضات سرية فى حجرة دافئة.وطنية كعينيك

كان المطر يتساقط في آخر الليل، كأن السماء انفتحت من النهر والرخات على زجاج النوافذ، تصنع أريجا من الصمت مُعلنة عن وجودنا كي تَعبرنى الكلمات..وأعَبرها، في انتظارك.

كنا \ أنا والكلمات وأنت، واحدا فردا أزليا في هذا الكون الفسيح ننتظر، لما تتلون رؤيتي بلون السماء والمطر، مساحات أخرى من التخيل، هل نرى؟

قال لي : لابد من ابتسامة صافية قليلا كي تظهر الصورة واضحة، فابتسمت أتخيل جدي النائم في عتم الليل وأمي التي تصرخ بمسامعي..لازالت تصرخ وأنت لا تأتين!!

ألعن ضوء الشمعة الوحيد في هذا الليل/ وحصار الوقت وانقطاع الكهرباء، أعواد القمح التي اصّفرت من هزة الريح، ووجوه باهتة تمضي ، ولم أنته بعد من الحصار، لم أذق طعم النوم بعد إرهاق طويل طوال خمسون عاما.في شوارع ليلك البابلي،

أسمع صوتا يجئ من خارج الحجرة..يُسلم على أمي
تُحاصرني الفرحة، أبتسم خجلا،
أرتب الحجرة بسرعة.
ستدخلين الآن،
تسقط الكتب من يدي، الحروف تتلبد بيد الصمت عارية من أي ضجيج مُمكن، وتفاصيل أخرى لابد أعرفها، أمل دنقل يأمرني ألا أصالح ولو توجوني بتاج الإمارة، درويش يلعن العابرين والأصدقاء والفاشلين أمثالي.

**و لكني،**
**أرضى** أن أكون ضمن المماليك في بلاط سلطانك العظيم، بنفس ذلك الخجل الحجري في غمضة العين، واهتزاز الشفاه، أرتب بقايا الملاءة البيضاء، لا أفكر أبدا في اللون، تنفتح الحجرة ببطء، يزوم الباب كزوم الكلاب، يهز ذيل رضاه عني خانعا وينفتح، يصنع رائحة الأحلام كتلك الرائحة في كتب التاريخ وكتب المتفلسفون المتزامنون مع الوقت الفصيح.يزوم الباب كزوم الكلاب وينفتح، يضرب في أم رأسي،تدور فيّ طواحين صمت وترقب، أقعد كسيحا، صابرا ليس كالصابرين بل أشد ضراوة،
أخيرا ينفتح الباب ولا يزوم،
ولا تدخلين!!!
فأدخل للحلم وحدي، عاريا من التفاصيل صامتا بما يكفى هجرتي وملاذي ألمح أصابعها على أكرة الباب ونصف يد ممدودة بتراخ...ها هي،
أقبض على الوعي الباقي المتنمر في أفقي، أصالحني كي أسترد وجودي هنا ...............
ها هنا كنا في أرض بلا مرسي ولا شطآن، لكنا كنا نُعد الوقت والبكاء، نرتب الضجيج ونلمح العربات كأي شيء عادي، أهيئ ملامحي لغضب مكبوت من زمن، قلبي يأكلني كالشريد ويطير يهتف بك، ليسقط الملك وأي حوار أخر، تسّاقط النظرات في الأرض خجلا من انتظاري الفاجع لكل ما يُمكنني، أقعد خاويا لجوار الحائط الهش إلا من رائحة الوقت، أعرف انك ستدخلين الآن، أفكر كيف ستجلسين، وفي أي ركن حين أواجه براءة وجهك المُجدلى،
كيف أني سأحاول الاقتراب بهمس وعذوبة هكذا \
هكذا سأمرر أصابعي،
لا..بل أطراف أصابعي

إصبع واحد..
إصبعين
ثلاث أصابع
خمسون قتل وخمسون ليل وخمسون يد
ولا تدخلين.................

هكذا كل الأصابع سأمررها ليس مهما، إنه الحلم الذي يتسع لكل شيء يراوغني، يمنح مساحته العادية كي تمر يدي ببطء، تلمس بشجن الوقت والحصار، الكف حين يرتعش يقبض على المساحة الضيقة جدا تتسرب بوجل، هكذا تمر الأصابع من فتحة أزرار القميص الشفاف إلي أخر منعطفات الطريق، تكبر أكثر حتى تلامس الضفاف والكنوز ها هي تقترب الآن تلامس بعض من الضفاف والعذوبة.

ها أنا أواصل تقدم أصابعي بلا خوف، برجاء أزليّ وقديم قِدم الكون هل ألمسك بما يكفى. مغمض العينين، أقبض فجأة على مخزون ليلى الأرق، أفتح عيوني مُتعبا من نشيجي، لكي تنتبه الأعضاء ثانية من دهشتها أغمض المكان عنى، وأجدني أكتب اسمك مكان عمري ، أرمي بالأوراق بعيدا وأدخل الحصار مثلك ،

- تنادي أمي
أخرس الوقت والشخوص وخيبتي في استكمال الحلم الواهن، أمرر أصابعي هكذا بهدوء/نعم في هدوء وسحر،

تنادي أمي بصوتٍ مبحوحٍ واهن كالحلم أبُدل مُوضع الملاءة والسرير،أتذكر أنك ستأتين، ستأتين لي،

تقفين عند حد الذهول والدهشة مجرد التذكر والحلم.أنتظر الدخول لسنوات كثيرة مرت، كنت في حال الانتظار، أرتب الكتب آلاف المرات والسرير، مفرش أمي القديم من أيام زواجها بأبي ناصع وجميل، ألعن الوقت، وحصار الحلم المميت، لعبة التخيل العقيمة حين لا تفتحين الباب ولا تفتحين السنين، ولا تدخلين.ولا تأتين.........

تمرين ببطيء على نهاراتى الهزيلة وأعضائي الفقيرة الذابلة، تتسكعين في غبش الصباح الجميل وتُهربين الحكايات منى، في قهوة الصباح تُبقينني صامتا أمام رغيف خبز وحجرة جدي الوحيدة، وأنفاس ليل مقدس خواف من عريّ وافتضحاتى المتوحشة كي أنتقل من ركن إلى ركن خاويا منك، إلى جذع صفصافة في آخر الشارع أسألها عنك في هذا الصباح البارد بعد ليل متسكع بما يكفى مع أعضائي الساهرة في فوضي انتظارك، أستجير بما لم يُجرني، بالشعر أحيانا فأرى الكلام كله لك.

أعرف أن خُطاك ستجيئني يوما...وأنا خطأ ما وقع في إعادة الترتيب لخريطة وجودك.

بينما يكون الممر الأول هناك في أخر اللوحة، يكون الأعداء في داخل البيت والعابرون في أول النص والزاهدون في أخر العمر

أقول لنفسي أنها ستعبر من الحصار لا محالة، أضمك إلى صدري بلا خوف، أغوص في شفتيك.أتأملك أثناء ذلك، أمتلك ناصية عمري حين يلتئما والجرح،أسمع اسمك في التلفاز ، أقفز ها هو أنت تأتين كل شئ فيّ يروم القلب أعود فأغوص بما يروى عطش المهرج وصالة المتفرجين على شقوق أحزانك المستفيضة، الطارحة مسارات الدهشة فأعود حزينا كل هذه السنوات!!!! بما يهزم تخيلي حين أتأكد أنك هنا وأن النشيج انتهى.والسماوات لم تزل نهرا مفتوحا على نهر ، يصرخ في مسامعي نداء أمي.. وحصار الوقت، تجربة قاسية في استبدال الخوف، أنفض الكتب عني، أعيد فوضاها، أحبط شوقي إليك والعنني، ألعن الوقت وألعنك ألف مرة ملعون أبو.....

لم تزل هذه المساحة ذاتها ضمن حد الأحلام، الدهشة والترقب لسرير غرفتي فأقف مندهشا وصرير الباب الأعزل من أي حدود. يد ممدودة على أكرة الباب تُعلن الخلاص من عتم الليل. من كحة جدي الشاحبة، ووجوه المُعزين الهادئة المتثاقلة التي لم تنظر أبدا عليّ، حين مات هذا الشيخ الهرم، كي تهرب منى الحكاية عن أحلامي معك ثانية. غير أنى تذكرتها نائمة في الغرفة المجاورة بهدوء شفيف نعم.. أمي كان صوتها داخليا يُعيرني التفتاً، يعيد سذاجتي إلى مواضع من التفاصيل الدقيقة..أسأل كل الذين عَبروا في الكلامِ العابر ضمن أشعار درويش أو علماء الحملة الفرنسية عن السر الدفين في علاقتي بك.وانتظاري الدائم لك. كي أسُقط الرموز ثانية من حساباتي أقف عند هذا الحد من تبادل القُبل العادية في الهواء كأني نائما أبثُ أشواقي إليك في خطاب ضمن هذا الحصار، أمر من عمري الصفيق لأمر ثانية من دهاليز صمتك فأرى دموعها الساخنة تنساب حنينا، حين تمد يدها الطيبة تفتح الباب، تشم رائحة السجائر، تسألني بقلق خفي... أكلت ؟

أكواب الشاي الفارغة القذرة تضحك في زهو تسخر مني لكنها تغمض عينيها، وتقفل عائدة تدعو لي في صمت، لا يبدله انتظاري المستريب لكل دقيقة تمضي، في أيقونة الوقت الذي سقط سهوا أيام انتظاري لك، كنت أبدو ناصعا كبياض الزبد حين يخرج من فمك العليل أخيرا....لا تدخلين، أسُلم الأعضاء إلى موتي والسلام ، *في الحصار، سأبقى وحيدا، دون دمعة واحدة.*

**<u>أستسلم</u>** ولا أفقد أملي أبدا،
حين تمزقين الحصار
وتأتين لي،
تأتين لي

# حلم الذاكرة

و ليكن...
أن ضوء الشمس الغاربة شاهدا عليك يا ذا الولد
ليكن ،
في هذه الليلة بالذات. كان الحلم غارقا في قاع موتك لكنك تمسكه في ضفتيك حتى منتهاه تداعبه
و تناوشه وما زلت قادرا على الحلم بعد / وقفت المرأة في وجهي وصرخت، كان المطر يتساقط
في ليلتك هذه / ليلتك التي تجئ كل وقت، تسكنك وتمضى أنت الغارق في تفاصيل الأشياء لم تنته في مرة للنوم كنت فتحت الشبابيك كلها خرجت للضوء خريفك كان حارا، راقدا في عباءته السندسية خريفك كان أخضرا ورديا حبات المطر الساقطة عليك من سقف الحجرة. لم يكن ذلك وهميا أو شبحيا
أنت رأيت كل شئ بذات عينيك التي صنعت حواليه الأيام هالات سوداء كالحة، حلمت بكل شئ رغم أنك تحاشيت الاقتراب البعيد من الحلم ،لكنك كنت حلمت بالفعل ليس بالأمس فقط لكنه الآن أيضا يداعبك الحلم حين تساقطت حبات المطر متوالية وسريعة فوق سقفك الخشبي تصاعدت موسيقى الرعد تنذرك بالوعيد " حتى إذا جاءهم..." وعدنا
وارتفعت أنت لأخرتك
كان بصيص البرق يخطف في لمحة نظرتك والريح تأن بصوت تراه، فيدخل ضوء أنت تحبه من فتحة الشباك المكسور، يضئ كل أماكنك، يضئ يومك، يضئ الحجرة الباردة الخشنة. يضئ ليلتك تلك، في هذه الليلة بالذات، كانت خالتك درية تنام بجوار أختك منى /
وتكره أبدا أن تراك يقظا في المساء، خالتك تكره جارتكم سميرة لأسباب تشعرها، في ليلتك هذه.
كانت تنام غائمة في استكانة حلمها الوديع بالارتياح بعد نهار شاق.
وأنت في مكانك مذعورا ملتحفا بالغطاء يباغتك البرق الخاطف فتتلصص في العتمة الممتدة الواسعة، تبحلق. تود أن تمسك البرق المشتهى في ثانية لا تزيد ثم تعود للظلمة و زئير الريح تبحلق بعينين وجلتين
تنظر بالعينين الحائرتين / كنت تعرف حلمك كله تود عيناك أن تخترق هذه العتمة أن تفسرها أن تحطم الخوف رغم تشعب الرهبة\ الفزع لجزيئاتك الصغيرة أدخلتك في

عالم غامض فارتعشت تناهيت عن مسك ما بي ضفتيك من شجون حاولت لحظتها أن تنام أطبقت جفونك في سكون وارتخيت، فأبصرت الامتزاج الهائل في خلاياك داعبك الحلم وشف خارجا من الحوائط من تقويم لحظتك انكمشت، عاودت مترقبا كل الحبات التي تساقطت فوق السقف المشروخ كان فوقك ينز شرخه كان ينز وأنت تراه فرحان بالتماع البرق وانشطار الشجن رحت تنتظره. حين يجئ تنكمش ليس مذعورا، لكنك تضحك من خوفك.

تندهش من كركبة السماء التي هزتك، لكنه الفرح الذي يلتبث بالخوف والحزن يمزج الوقت بالترقب، تحسست فراشك الواهم بدفئه حين لامست يدك وجه أخيك الذي بالجوار يغط في نوم عميق. تذكرت حذائك الجديد، داعبت حلمك الصغير ورحت تنسج اللحظات ببطيء أكثر، انسابت بصمت شديد. انزلقت للبلاط العاري، لامست قدمك البرد اصطدمت حتى بعريك أنت،خطفك البرق فعدت للفراش سريعا ابتسمت من ذاتك الخائفة، تكدست الظلمة كلها أمامك، أصابعك امتدت لتستند على أي شئ في الظلام تستند عليه لم تكن ترى أصابعك وهى تلامس كتبك المصورة على المنضدة الموضوعة في ركنها البعيد القصي، تحسست يدك قلمك الرصاص فوضعته بهدوء لجوار الكتب مضيت كنت تعرف مكان الحذاء تماما كيما تلبسه تمضى لأصحابك، تلعب معهم في البحيرات الكبيرة التي أحدثها هطول أمطار الأمس، كنت تقذف في وجه أحدهم الماء وتضحك، ترش عليهم كل الحبات التي تسقط ، ترقصون معا تلتفون معا تداعبون كل الندى الصباحي معا تلتفون حول الأشجار العالية معا تتسابقون تلهون ترسمون أشكالا من الطين على الأرض، تغنون نشيد الصباح بصوت شجي: " بلادي، بلادي / بلادي.... .لك حبي و فؤادي "

سيضربك الأستاذ لأنك لم تحفظ جدول الضرب

لا يهم هذا حلمك الذي يتسع لكل شئ، يتحمل كل شئ اعتمدت على اتساعه مضيت/ انسحبت في هدوء منسوج بالتوتر والترقب مشيت ناحية الباب بخطواتك الثقيلة لامست الأشياء تحسست الجدران التي تعرفها استندت قليلا ثم أمسكتها وسرت امتدت يداك نحو الباب قبضت بتردد على الاكرة الجامدة، غامت عيناك في الأرضية الباردة المليئة بماء المطر، حاولت تتبع شرخ ما في السقف رأيت الحبات التي تسقط، حددت مكانها مشيت لجوارها محاذرا سقطت في أنفك الرائحة / حين أنزلت أستك البنطلون أحدث خرير الماء صوتا خفيفا منتظما فمشيت برعشة لذيذة في بدنك، مشيت على أطراف أصابعك كنت نظرت للشرخ في الجدار، كنت انتويت أن تذهب لحجرته تتأمل وجهه القديم الذي تعرف تجمع كل الأسئلة الصغيرة إليه..تسأله كنت تعرف جملته التي يقولها..

هيا يا ولد نام

لم تقل له أنك لم تنته مرة للنوم رغم أنه لم يكن في حجرته بمفرده لكنك تلصصت عليه كنت تعرف أن صوته مفعما بضجيج صاخب، كلامه الصباحي يُخوفك منه رغم ذلك تفاديت العتمة ذهبت حاولت تحديد الباب نظرت من ثقب المفتاح دققت النظر / أسندت جفنيك على الثقب تأملت كل شئ/هل كان في الحجرة أحدا غيره هو نفسه أبوك الذي تعرفه الذي تراه كل يوم / أبوك هل رأيت شيئا هل سمعت ضحكات خافتة، أنفاس خافتة، همسات خافتة، هل كانت جارتكم سميرة التي تكرهها خالتك هل اصطك في أذنك شيئا، أسقط ضوء الشمعة وجوده أمامك حين عدت على أطراف أصابعك الباردة تتلمس طريقك محاذرا على الحلم من الانكسار متفاديا كل ما اصطدمت به، لم تحاول أن تستند على الجدران المفخخة من كثرة ما نالها من مطر.

مشيت في أرضية الصالة المعتمة. ذاهبا كي تنتظر البرق الذي يجيئك ثانية واحدة ثم يروح تمسك الحذاء بيدك وتجعله فوق منضدة المكتب. كان باب الحجرة مازال مفتوحا وهو يلهث وهى تتلوى، النقط الكبيرة تسقط من السقف المشروخ لسعتك نقطتين كبيرتين على وجهك الدافئ، تذكرت لحظتها مُدرسة الحساب حين تأتيك البنت رانيا تزيل الدمعات الساقطة من وجهك تمد يديها في الفسحة بالسندوتشات التي تصنعها أمها، تبتسم لك تمسح أنت باقي حبات الدموع بكم قميصك تشير إليها أن تجلس جانبك فوق العشب الأخضر تسألك أن ترسم لها الشمس تخرج قلمك من دفترك وتخطط في الأرض خطوطا لم تكن تعرفها فتسألك ماذا ترسم؟ تقول العمر.

تجرك من يديك وتجرى تتسابقون فتسبقها. ترقد هي خلفك في بطئ، كان الأولاد يفعلون ذلك تتداخلون تلتحمون كلكم، تتوحدون في دائرة يبقى ورائكم ظلكم تضحكون في انسجام غريب لما كان والدها يجئ كان يأخذها منك وتقعد محسورا إلى جانب الأولاد

ساكتون تترقبون تتأملون سيارته الطويلة حين يأخذها من بينكم، تركب هي لجواره تنظر عليكم يحدثها بصوت عال فتشير له عليك ترتفع يدك لها لم تكن لتنس أبدا شكل وجهه الجامد وملامحه الخشنة وابتسامتها الجميلة رغم ذلك أنت في ليلتك تلك في لحظتك هذه نعست اندسست بين إخوتك تابعت حبات المطر انكمشت في الفراش قلت لو يجرى ضوء الفجر بسرعة يصبح الليل قليلا ليأتي الصبح يسقط المطر وينتهي تخرج الشمس فأرسمها للبنت، كان الحلم فيك غارقا فتمسكه في ضفتيك أشهدت ضوء الشمس الغاربة عليك أشهدتها بأنك سوف ترسمها للبنت ظل رغم ذلك الحلم مشتعلا داخلك، في الحجرة كان أبوك هو نفسه الذي تعرف عاريا تماما في تلك الليلة يضيع منك الحلم في متاهة لا تعرفها فتمسك دفاترك في حضنك و تنام ،

## النهر – الإله

إلي كل الصبايا اللواتي مللن انتظارا مريرا لمسافات زمن بعيد باحثين عن تفاصيل شمس لا تجيء إلي النوافذ رغم ضغطة النهدين..
إليها.. إلي البنت التي حين أسكنتها كلامي سكنت فسكنتها ساكنا،
ومسستها مسا جنونيا فصارت جزءا من جنوني رغم ما بيننا من غباء اللغات
آه..... يا البنت الجميلة أنت يا رفيقة دربي أثكلك الموت تحت زند الحقيقة، لا شيء يتبعك هناك ولا رفاق ولا زمن يحتويك ولا نهار، أطبقي راحتيك علي ساحتي واطمئني يا بنت ليلي كل هذي الشجرات الحزانى لك. كل أحلامي في الليل لك كل ليل بعد منتصف الليل لك وأنت ما زلت تشاهدين ذبول الشارع ،البنايات القديمة والمطر تفتشين عني وأنت..أنت البنت التي ما كانت تخون هواها فاتصفي باكتمالي واستأنفي صعودك نحو المغيب وانتظمي الآن في صفوف \ صفوف. تلك كلماتي الأخيرة لك....
الإمضاء
إلهك الرخامي المتشكل في خارطة الأرض نهرا
كانت لسعة البرد في هواء الصباح كافية لجعل البنت ترتعش يتقلص كل جسدها وترتعش. تنفخ في يدها زفيرا ساخنا لا يود الخروج لهذا العراء ورغم ذلك ترتعش بيدا أنها لما داعبتها الطيور الصباحية وكلمتها النوارس علي ضفة النهر أغوتها بالنزول للماء لتستحم.
لكنها ابتسمت وبعيونها المستنيمة مرت علي الأشياء.غارقة في تفاصيل صباح بليد ريثما تطلع من نعومة الأمس تائبة عن الدفء الواهمة إياه.
كانت ذابلة كشجرة التوت في الخريف تعدد حكاياتها وتحمل مرساتها وتمضي تنثر للفضاء البعيد شوقا كليما لإله رخامي ينام في صدرها. البنت ذات الفستان الشفيف والحزن الشفيف الوجه الشفيف. تغير أسمائها فتصير البنت الجميلة البنت الصغيرة البنت بلا صفة ولا معرفة تصبح زورقا مبحرا لقاع المدينة.كل صباح تفتش عن رزقها، تحمل رعشتها وتمضي بمحاذاة النهر تكلم النوارس تنظر الشمس الطالعة علي استحياء فترتعش هي ضفرت شعرها ضفيرتان طويلتان منسابتان علي الجسد / خلف الجسد. خلف الوجه.تترقصان بطيئتان بإيقاع مشيتها حين تملأ البنت فراغ الرصيف. تعمل من غدها بسمة رائقة وتنكمش لما تفاجئها رعشة في البدن فينتظم الخطو علي الرصيف.
انهضوا الآن..كي تروها تسير مرتعشة في العراء في لسعة البرد في هواء الصباح.تغوص البنت بين البنايات تبحث عن يومها. تفتش عن يُتمها\عن عريها \ عن أقل البراعم كي تحتضنه.
لكنها تمضي في قلبها رعبا مُنحبسا من زمن عاهر تبني من الذكريات القديمة ملامح لها

هي البنت الجميلة تمضي.
كل ما قاله الشعراء المُحدثين \ النبيين \ الحكائين المتعاطفين معها كل ما قالوه عن براءتها وفقرها، حزنها. وسرها، يومها وأمها سريرها ودفئها / ليلها وعمرها كل ما قالوه عنها..كوابيس أحلام غير كافية.
كانت تسير في لسعة البرد تلك الكافية لجعلها ترتعش.
تمسك الشوارع والأرصفة ليل الحارات والقطارات التي لم تجئها حين كان إلها رخاميا يسكن في صدرها يُخرجها من اشتعالها بالبرد وبالوحشة الأنثوية.كانت لما رأته أول مرة عانقته لاهثة فمنحها دفئا قاسيا لا يروح.ومسها مسا شفيفا فصار كائنا في مداها المتسع، صار لها ساكنا صدرها.أخذت تحتضنه فوق الحوائط والبنايات ووجوه من قابلوها فأمسي حنينها.يدثرها من رعبها الليلي ووحدتها يخبئها حين تنساب دمعاتها يضمها بقسوة ذكريات بعيدة .هي ذات مرة ترتعش وكل مرة ترتعش تقف هناك وحيدة تتابع دقة الصمت وحيدة تحت مظلة الباص وحيدة.

احتوت البنت ابتسامتها ووحدتها.
لما جاءتها الطيور الصباحية، أغوتها النوارس بالنزول للنهر.سرت قشعريرة في البدن الدفيء
كانت تحب المطر ولون مساحات صوت القطار حين يهز أرجاءها تجيء إليها وشوشات وابور الجاز في ليالي الشتاء العفي. فيقشعر البدن متحفزا، صوت أمها المليء بوجع قال عنه الطبيب افتقار إلي الدفء والألفة العائلية، تنكمش البنت من البرد تحت الغطاء وهذا الفضاء يعلمها أن تري كل شيء فوق الحوائط تضع أوراق الجرائد القديمة علي فتحات الشباك المكسور لمنع دخول الهواء فيخونها الهواء ويدخل تحت الأغطية كلها في الليل حين تنام. لكنها أبدا شاعرة بالفراغ وقسوة البرد تذهب للنهر تراه في مشية الصبح.
قالت البنت لو اذهب للنهر الفرحان وأستضيء بضي الوضوء، أتضوع بالضحى. أضيع ضفة في ضفتيه أستبيح خداعه المباغت لتفاصيل جسمي الحيي.أستقبل القبلات الجريئة للموج الهادئ أمد إليه عريي وأستحم في مياهه أرتوي من عطشي الدائم لفوران الزبد فيصير النهر إلها رخاميا معي.
البنت مشت
خلعت ثوبها في هذه البرودة القاسية,
ومشت للعراء عارية
لم تكن كشجرة التوت في الخريف.
كان طرح التوت علي نهديها النائمين في استكانة حلمها الأنثوي الباهر حين ينتفي الزمن عنها. تغطي جذعها الممشوق براعم خضراء يانعة وورق مُزهر ناعم. كان

كتفاها شفيفان مثل الموج البعيد، هي البنت الجميلة تستجير بما لا يُجرها.تفتح باسم ارتعاشها طريقا نحو الوضوء الحبيب بعد أن رمت كل شيء لذئب غريزة لا تراها،غاصت يديها تحت أسرارها وأمسكت الكلام الذي يود أن ينفلت من لسانها،
في هذا الصباح البارد الهاجع من صمت الشمس عن الخروج لبوتقة الكون، كانت البنت قد مشت هكذا إلي النهر عارية يغطيها ورق التوت.هكذا طافية ...هي ذي تتهادي ببطء ثقيل
تحرك أعضائها في اتجاه الهواء بقليل من الارتعاش. هي المتجهة صوب النهر.. ..........اتجهت،
تحسست بأقدامها
حافة الأفق وضفة النهر...... ونزلت
سبحت باتجاه المدى......... وبكت
في البدء داعبت الماء..... وداعبها،
انحنت بصدرها .. ....... وهوت،
لامس الماء وجهها، بلل أطراف شعرها المرسوم جدائل \ جدائل.انتشت البنت ودخلت في إنبجاس ضوء مريع ،ولما خفق قلبها خفقة ،خرجت تنظر النهر صامتة تأملته بشهقة طويلة، حملت انكسارها الغريزي قاطبة، " بيد أن الماء بعد الحزن ماء "
حين أنفضح عجز الماء عن احتواء الجسد. وطال فراغ الخروج من حلول البنت بالنهر
.ارتدت فستانها ومضت.علي ورق التوت داست.
خان البنت الهواء ثانية رفع ذيل فستانها فلم تستقر مشيتها فقدت توازنها ولفت نصف دائرة كيما تمنع مداعبة الريح لها تحسست إلهها الرخامي في صدرها وسال آسها في حينها. لسعها هواء الصباح المنتشي واستعادت توازنها، ولما ابتسم الإله لها عانقته عناقا مريرا. ناحبا ومضت شاحبة ووحيدة
شجر التوت في الخريف المر بلا ورق ولا صفة ولا معرفة
قالت البنت: لم يكن سكوت النهر إلا اشتهاء احتواء الجسد فلماذا يبعد النهر عني ؟لماذا تصير المفاتيح جذور الهواء ؟
لماذا يصير النهر خطوط الخرائط وفي الأطلس المدرسي ؟
وقفت البنت في مواجهة معرفتها الأولية
لم يكن في يدها غير تكرمش المنديل فأرهصها وجيبا في قلبها واعتصرت بالشهيق الطويل المحتدم.أمام باب المحل الذي تبيع فيه انحنت لتفتح......عزت عليها الخطاطيف الصدئة جاهدت ضربت الخطاف في الأرض فلم تنفتح الأبواب.قرفصت البنت أقدامها وأمسكت الخطاف بيد مرتعشة.تدك المفتاح في صدأ القفل الحديدي

تسمع تكة تعرفها, تتنهد البنت هي المليئة بالسكون والارتعاش تنهدت.. مضت يحتويها الشحوب النهائي والهواء يداعب طرف فستانها.
حين مست أساها المخنوق بليل طويل وصبح بارد.
أبعدت كل الخطاطيف فارتفع الباب لأعلي صاعدا.وابتسم إلهها الرخامي لها.

# *أكذب يا أبتي*

وأقول قد صّدقت. صّدقت.
" وخلقنا الإنسان من سُلالة من طين "
وخرجت/ خرجت من سُلاّلتك، من طين الأجداد وطينك
يدك المعروقة به، مشيت طريقك للقمح، جريت إلي السنابل وقش الغيطان وعرفتك....
نعم عرفتك.
شممت روحك وشوقك، عرفت الكلام، قرأتك ثم تهجيت الحروف التي قلت لي عنها حرفا/ حرفا
ومشيت نحو ما لست أعرف، فكنت شيئا لم أكنه.
لا كنت من الريف ولا أحببت المدن وسقط نعم سقط وهُنت حين هان كل شيء، حين أرشدتني لفدادين القمح ولطمتنيّ بالطين في وجهي .. اسكت

لم تك قد عّرفتني أن كل سُنبلة مائة حبة، ولا مرة صّدقت اسمك ولا حّدثتني الكُفور المجاورة عنك وغنيت الآخرين لك يا أبو الرجال، غنيت ورسمت أسمك الذي كان يخصك وحدك ووجهك المختفي في البرواز القديم الثابت مكانه منتشيا. فرحا. مثلما غَافلتني مَلامحك ذات مساء جَهم كجهامتك، يرتسمْ وجهك المنزوع منه وجهي حين بَزغت صُورتك فوق تجاعيدي، وبحرك في بحري ينتشر لم يزل. كنت أحاول كيما أنزع أصابعك من فوق جلدي. أنزعك ألف مرة وألف عام لكنما وجهك البري المتوحش يصرخ فيّ وسطوتك تَنزِعنيّ وتلعن..

الأرض عرض..

أكذب يا أبتي إن قلت لك أني من هنا، من خطوي الأول حين أبدأ بالحبو علي درجات السُلم تَلقُفنيّ بيد واحدة وترميني علي أمي، أبكي علي يديها أصرخ، تلعننيّ بصوت زاعق، غير أنك تمسح دموعي بيدك الخشنة وتَحملني ضاحكا كي تتسرب الذاكرة إلي خُشونتك وصَلابتك

وقلت: أكتبك من جديد، أبي أبو الرجال، بيد أنيّ أرسم لك وجهاً لم تكنه. صوتا لم تكنه، وامنحني ملامحا سأكونها ولا هو رسمك ولا هو صوتك، أكافح كي أخرج من الدائرة التي وضعتني فيها جِفنة من طِين الأجداد في اليد وطِينُك وهواء المزارع في عينيك لامعا، علي لسانك الكلام الحلو..تقوله للناس

وصوتك خافضا .. ..( تأدب يا ولد )

أكذب يا أبتي، كي أستريح علي العشب الأخضر الطري، أُمدد ساقيّ للماء وأرفعها لأعلي. تدور السواقي وأتمايل معها ، ينقطع سير الوابور وتسألني أين كنت ؟ لم تعرف أنه كان انتظارا فاجعا لصمتك الموحش/ صمتك الخبيث الماكر،

-كنت مع صفاء

نظرتك المرعبة \\ في الأرض خجلا منك تَسّاقط عينيّ.

المرأة التي جرت خائفة في المزارع، هاربة من رؤيتي لها.. جرت...

لكني رأيتها نعم رأيتها تدخل أعواد القصب وتَعدل فُستانها.. وتتلفت بجّزع

هنا.يا أبتي. أظل متأرجحا بين كفيك المشدودين وهزيمة صغري أمام عنفوان خبرتك واحمرار أذنيك أمامي.هنا.. هنا تماما

عند اختلاط الضوء بالألوان فوق فدادين القمح في الغيطان، تَقذفني قرب النهر مشيرا للماء وللطين

وتقول:( تأدب لم تعد صغيرا يا ولد ).

أصرخ في يديك لم أعد صغيرا يا أبتي.

انتهيت من حيث بدأت \ أيقنت أني أدور حولك.وأحلامي سَخف وتصوري سَخف.. كي أراك نابشا كل شيء في الذاكرة فأخشىّ أن أري وجهك أو أعود لشخصك لأعلم أنك هنا في ذات المكان مع امرأة المزارع تضحك، تترك أمي بالبيت تعمل لنا

الطعام.وألقاك كما أنت ملتمسا أركاني ركنا/ ركنا عارفا نظرتي وابتهاجي.عارفا القمح والغيطان، السنابل سُنبلة\ سُنبلة....
إذ أن صفاء كانت قد غابت في الزحام تواطأت مع رقصي وصلاتك، وطَاردتنيّ في الليالي أرقا وعذابا،حمقاء هي يا أبتي حين تهتز أمامي ويبين منها بعض أنوثتها ويعلو هدير صوتها في جوفي، كي تصرخ فيّ تتجمع وتتوحد في ركن عمري وفي ركن الدار خائفة.هزيلة تقرأ الكتاب معي وتنسي صدرها مفتوحا أمامي يرتفع لأعلي وينخفض ساخنا، حميما كي أمد عينيّ ويديّ
الكرسي تحتها كان دافئا\ دافئا.كان كل شيء رتيبا وممطوطا ربما كانت قد بكت \ربما استغاثت بصوتك المتقطع الواهن وكحتك الشاحبة حين تغزو صمت الليل دهاليز الحنين، ربما ناقشت كل الاحتمالات
حين همست في الجوار وأشارت عليك.
أسكتها الحنين إلى وجع أزلي
أتمني أن أعيدها وأن أدخلها. أكتب عينيها الباكيتين
( ولا بد واحد فينا يرحل )........ هكذا قلت !!
أكذب يا أبتي حين تتحد أزمنة العشق والموت. وأذكرك نائما مستحيلا، أتسمع أناتك في الليل الخاوي إلا من بكاء أمي، يهيل الرجل عليك التراب. يهيل، أراك بعيني/ عينيّ التي سيأكلها الدود والنسوة يصرخن......مات
المرأة التي مضت في المزارع رأيتها تجري بأم عيني. ترفع ثيابَها فَوقَها \ تُصلح هندامها وطرحتها وتنظر عليك ببسمة خائفة لكن صوتك العازل لكل إمكانيات سمعي وسؤالك الغريب وإجابتي المحصورة في خوفي منك وحزني عليك فأنت أبي أبو الرجال- أبو الجهال.
تقول لي شمس الشتاء !! وتحذرني منها.ومن النساء، ألوذ بالأرض تحتك، بهواء الغيطان.مدسوساً كنت في الظلام تُفجر عُشب الأرض زهرا يانعا وثمارا وأفرعا خضراء كثيرة أسألك بلا أجوبة أراها غير نظرتك الحادة المانعة لكل حروفي وليت كلامي ما كتبت حين شّيعت هواك وتابعت موتك. وبكاء صفاء في الليل العبيط كي ألمسها أول النهار وأخره أستنفذ دورة أعضائها وأنتظر.... كي أُفضي إليك بسِرها وسرك المكنون المخبوء في صدري خافضا وجهي للأرض بلا كلمة واحدة. وحقيقتك الفاعلة لا تجيء أبدا إليّ رغم انتظاري المحتوم لكل تصورك القادم عن لحظة ثرية الآن.. الآن هنا.. تماما هنا.عندما أبتدئ في وصفك تُفضي أشياءك إليّ خلسة، ولا أدري بحقيقة كنهك/ بوقتك الذي مر عليّ كركض السحاب الخّواف في ليل المدن، أنت القرى الجميلة.فكيف أعرفك وأراك أنت المخبوء في المحال \في الوجع. المخبوء في عقم اللغة. عبثا أحاول في منتصف الضجيج والممرات حين اندفعت هي واحتضنتها بضفيرتين مبتلتين قليلا، وسقطت في حضني باسمة.

خربشتني كقطة أليفة أول الأمر وتعفّرت ملابسها وملابسي بالتراب الذي منه نكون وإليه نكون
لم تعد صغيرا يا ولد
لم أعد يا أبتي
نعم احتضنتها وأحببتها وهي في حضني وقَبلتُها
لما وشت بي إليك............
تقلبنا على قش الغيطان في خوف ورجاء، تراجعنا قليلا ثم عُدنا، مضينا بلا خطوة واحدة للخلف لم يكن في إمكاننا يا أبتي غير استكمال نزيفنا
أنت قلت وأنت تنزف كل ليل نعم لم تعد ولدىّ،
يلفظني صوتك الزاعق عن سر الكلام وأدخل المدينة حاملا رسمك، وأسمك / حقيبتي الفارغة إلا من جنيهات أمي القليلة وصورة صفاء، أتأبط الكتب التي تورط فيها وتواطأت معها عليك كيما أسير في الحقول والبلاد التي ما جّهلتني، ولا في رئتيّ سكنت أشجارك عن النواح، أشمُ روحك والزهر الرهيب في الأغصان العوالي، علي هيئتك طير يطير وصورتك عليه، ماءك الممدود فيه ماء، وطين الأرض طين معروك في يدك مصبوغا بلون بشرتك الأسمر الحاد. تلقيه في وجهي
وتقول: أنت لم تعد ولدي. !!!
أكذب إن قلت أني أستريح لأبوتك أو أستريح لولادتي هكذا في شهر أزار، صوتك الواهن غير المسموع علي فراش الموت تقول: ولا ولدي يُطاوعني والقرى تفر مني، أكذب حين أنُكرك، وأكذب حين لا أراك في عيوني، الأرض التي جاء عليها صوتك /الطين الذي عُدته.. طين/ الماء الذي غَسلك.. ماء. الشيخ الذي تلا آيات الله عليك.. شيخ
تَفلتنىّ مع الشيطان ومضيت عني، تكظم غيظك مني
"ولابد واحد فينا يرحل "

أمسكت وجهي ودسسته في طين النهر. دار النهر بي، وفي رأسي ماد الموج وعلا الهدير.
وأنّ صفاء لما مشت لي في الليل. جاءتني من باطن العشق، لم تك سوي حفنة من الماء في يدي كانت هنا ممزوجة بطين الأجداد. دخلت شفتيها والبحر وحدي واستطبت الحصار وحدي، وعدتها بسماع صوت الأرض وصوتك ، انتقلت بعد ذلك من سطر إلي سطر. إلي حكايات طويلة،
حين عَرفتها معرفتي.
قلت: لم أعد صغيرا يا صفاء...
قالت لم نعد يا حبيبي ويا ليتنا ما التقينا ،

اشتريت لها عروسة البحر وأهديتها ضفدعة،
أعطيتها ظهري ومضيت سائرا للمدن،
كنت فرحانا،
لكنها ما اشتكت ولا بكت، إلا أن صوتها المحزون كان واهنا شجيا مُتقطعا
ربما بكت وناقشت كل الاحتمالات.
كنت فَزعا عند قدميك

يمضي الرجال الجالسون من حولك، تصرخ فيهم. أسألك كيف يا أبتى وأني لست ولدك ولا من صلبك كنت، ولا من سلالتنا أحد فعل، أكذب ألف مرة إن قلت لك أني من الطين الذي من الأرض خرج، وفوق يديك استكان، كي تصير لا شيء يا أبتى، رغم أني كنت مُعلقا علي مسامعك.أعرف كلامك من أين يجيء. وإذا جاء وعدنا ووعدك، ترقد في الفراش ليال ترفض أن أدخل عليك، تطلب للناس أنّ أُقبل يد الشيخ وأنّ أدخل المسجد، أنّ أفعل أفعالك وأتزوج صفاء أو أذهب للمدن التي كنت فيها فاجرا. ليجيء طبيبا غيري لك.
الرجال الذين يشفعون لي عندك، يسمعون آهاتك في الليل الحزين الذي كنت فيه وحدك.كنت معي.
لم أعد صغيرا يا أبتى ..بكيت..
بكيت وفتحت عليك الباب، دخلت، علقت دمعك النازف علي آلمك من الحقن، وددت أن أتّشمم ريح الأرض، حين رأيت المرأة التي جرت في المزارع ورأيتك في الأسماء/ في اللوحات عرفتك/ أشرت بيدي عليك وقلت ها هو أنت. أنت الذي هو أبي لكنها صرخت في ذاكرتي، صفاء يغسل وجهها الدموع في الليل، تقول معي الليل ليلي وهذا القلب لك وظهرك المقسوم علي السنابل يضيء الضي في عمري ويسبح في الزروع يخنق يدي التي تمتد لتكتب اسمك كي أحمله فوق اسمي، وصورتك في جوفي، همس النيل في عينيك همس
أقول أني رأيتك تبكي وعلمتنا أن البكاء للنساء،
أكذب يا أبتي وأفعل أفعالك،
أصرخ في النسوة الجالسات وفي الرجال، تغوص أنت في البئر العميق.
تُسبح في الملكوت وحدك، وأنا في دوامة الشوق الممتد إلي لاشيء. شوقي المستحيل إلي وعيك /وعيك المتسرب إلي شيئك / شيئك الذي لا أعرف،
صفاء في الليل العميق باكية حين تنسي صدرها مفتوحا أمامي الكرسي تحتها كان دافئا، دافئا جسدها اهتز وتقلص بين أصابعي
قلت " واحد فينا يرحل"

سألتك كيف أصعد للكهف ؟وأعيدك. جزئي المُختفي في سراديب الكهف العالي رسومات وجهك الناضج كالثمار علي الغصون، جالسا كنت في البرواز القديم في حجرة الصالون شامخا ومهيبا حيث لم أر، عبثا أحاول أعيدها صفاء.. وأعيدك.
أكذب يا أبتي.. أنه فوق قدرتي وفوق توازني / فوق امكانى علي الانسحاب من كل شيء حولي
والطين الذي كان في يدك طين ، ...
وأنت / " أنت لم تكن أبى !!"

# الفقراء لا يدخلون الجنة

سأقول لك لما ؟
لأنه حين كان يمضى في الشارع وحيدا، كانت السيارات تمرق من خلفه مُحدثة صَوتها الفووو غير أنْ الارتباك الذي صَّاحب حالته أفقده وعيه بوجودها، مضي كغريب يستحث الأيام للقضاء عليها، غير أنها بطيئة هي الأيام لكنها تمر. مثل مُرور الوقت والزمان وأقدامه الساخنة على رمال غربة مَقيتة في صحراء التذكر، حين تمضي الساعات قاحلة من الطيبين تقعد كالمرصاد مع الفقراء،أيام تداولها الثواني بلا وجع غير الظلال والمساء عليه ينام مع رائحة البرد وصوت الفضاء الواهن إلا من أوجاع تحل أخر الليل لكنها الأيام تمر، عفويا تأتيه في حلم واهن تقطر الزيت والحليب في ليله الحالك كي ينير الطريق جهامة السير كما اعتاد هي المحك
الأخير لاختبارات القلق والتوتر، كان يفكر هذا المساء في أن ينهى هذه الحياة القصيرة جدا آَلمه الوجع من وجود أبناء له وألمه أكثر لتعلقهم به
هذا الفقد المتصور أعياه حتى أنه في أثناء هذا السير وهنت قدماه عن إكمال المسير وأحس بوجع ينخر في أحشائه الأليمة تمنى لو انزلقت قدم من هذا الجسد التافه أمام إحدى السيارات المسرعة جدا دون قصد منه وينتهي كل شيء ، التفت للخلف مُقطبا جبينه إذ أنه كان شاردا لدرجة لم ير المنظر جيدا، لما كان رجلا ممددا على طاولة الطريق، رجل كأي رجل..ومات
أبعد الناس، شق فى الزحام صفوفا كثيرة متفاديا الأيادي وأجسام ضخمة تشرئب بعنقها وعبارات السلوان والتساؤل التي اعترضت مروره المفاجئ والمُصر على الوصول حتى مكان تواجده، وقف أمام الجثة مباشرة وهى ملقاة على الأرض، كان هو وجهه الذي رأى تماما شعره المنكوش وبنطاله الذي يرتدى، ساعة يده التي يحبها في اليد اليمنى رفع حاجبيه مُندهشا مُعاودا النظر ومدققا في الملامح التي يعرف، نفس هذه السحنة التي يراها يوميا في المرآة غير أنها تختلف قليلا من حيث الفرق بين أن تراك على حقيقتك وجها لوجه أو من خلف مرآة تعكس الصور تأكد أنه لم ير

صورته سابقا إلا مرات معدودة سواء في ذلك البرواز الخشبي القديم أو عبر زجاج المرآة المشروخ
انحنى برأسه يطالعه جيدا/ أنه هو.. تأكد من التفاصيل الأخرى أعاد النظر للواقفين في حزن، أعاد عينيه بسرعة فوق الجثة الملقاة تفرس الملامح ثانية، تضاريس الوجه والملابس التي يرتديها، الساعة في يده،
هي نفسها، اقشعر بدنه لحظات مُستغرقا في التفاصيل الأخرى،
كان المساء حزينا جدا والليل مستعدا للهطول بأكثر من هذه المساحة من السواد الحالك تَمضي فوق أكتافه النحيلة تُخرج ألسنتها كالكلاب المسعورة، مساحات الهلع تلك التي أحاطت بالمكان كي تسكنها غربان ووطاويط وريبة مُوحشة هذا التوحش الذي أدمى الجثة من الساقين وفوق البطن، جعله يتحسس بدقة تلك المواضع من جسده تَفقد كل شيء حتى ذكورته الخائبة فى هذا الليل الذي استغرق ساعات أخرى في نفس الليل بلا فائدة ابتلت شموع المساء بضحكاتها ترن ووسطها الذي تمايل دون داعي مستهزئة برجولته المنهارة، حبة وحيدة من الفياجرا وشجرة من البرتقال وعقود من الياسمين يفكر فيها بلا طائل لبلوغ أي شيء كانت تفكر فيه بنفس ذلك القدر لكن بشكل مغاير تنتظره من أول الشهر إلى أخر الليل حتى ولو كان متأففا بعد سفر طويل وإرهاق يبدو على وجهه النحيل ورائحة عرق تنز من قميصه المتسخ، يبقى هادئا رغم كل شيء وتنام هي، هي لاعنة أيامها،
أعاد النظرات على المتجمعين من المارة وعلى سيارة الإسعاف وهم يحملون الجثة وسط صيحات وهمهمات الواقفين كان قريبا جدا وسارحا حتى أن دفعه أحدهم بيده صاعدا لأعلى السيارة إلى جوار الجثة لا يذكر من الذي قال أنه قريبه أقفل السائق سيارة الإسعاف من الخلف وتركهم معا أطلق صوت الإسعاف أبوق الخطر تدق كلية في دماغه الذي بدأ في الانهيار تدريجيا
أعاد في هدوء وروية عُيونه على الجثة الملقاة أمامه مباشرة، تفحصها جيدا كانت تتململ تحاول التحدث إليه، قّرب أذنه من فم الجثة، حاول أن يستدير برقبته إلى أقصى حد ممكن كي يبلغ بعينه أذنه الكبيرة بلا فائدة
هَمّ أن يسأله.. غير أن حالته المزرية وهذا الخلط الغريب في الشكل أفقده قدرته على نطق حرف واحد أفاق من ثباته العميق ونظراته المتبرمة بكل شيء حوله على صوت زاعق يقول له ها هو أنت.
نعم هو أنا لابد انه أنا لا فرق بيني وبيني هنا أو هناك
هذه الساعة القديمة في معصمه لي،
خلعها من يده بقوة وعنف ووضعها في جيبه في هدوء

نظر إلى وجهه الصامت والى ملامحه الدقيقة مد أصابعه عليها كانت باردة ومُبللة بالدماء مد يده إلى سترته التي يرتديها أخرج منها ورقة صغيرة بها أرقام هواتف بحث جيدا لم يجد شيئا أخر قذف بها في الهواء تفل عليه قائلا: زبال

مد يده يفتش فى جيوب البنطال الخاوية حتى من أي شيء سوى الرعب الطبيعي فى كونها يجب أن تكون ممتلئة لم يجد شيئا أعاد نظرة غاضبة على الجثة الملقاة أمامه وهَمّ أن يصفعه باليد غير انه تحسس محاولة منه لفتح عينيه فتوقف فى منتصف الطريق وفكر أن يقفز من السيارة التي تمضى مُسرعة وأن يترك كل شيء كما هو غير أن الوقت كان أسرع منه كان الطريق خاليا تماما وهو وحيدا معه فى سيارة الإسعاف أزعجه انه أراد فتح عينيه كان يحاول بجهد جهيد تمنى لو توقف الإسعاف الأن كي ينزل، كان خائفا، متوترا

الليل أسودا حالكا تمكن أخيرا من فتح باب الإسعاف، كاد يقفز لكنه تراجع،

مد يده على الجثة محاولا سحبها قرب الباب لم يستطع أول الأمر غير انه أسقطها إلى أرضية السيارة ،

كان قد اقترب تماما من وضعها بطريقة مناسبة للقذف بها خارجا، كانت السيارة مُسرعة والطريق خلفها يعج بالسيارات الأكثر سرعة،

عندما هَمّ بالقاءها من الباب الخلفي،

مد يده إلى معصمه وقبض عليه ساحبا إياه إلى الخلف فسقطا معا وسط السيارات المسرعة

## أقذف بنفسي للبحر

1-حينما مشيت في اتجاه شارع الكورنيش العريض قلت سأقذف بنفسي الأن تضايقت لأني غير قادر. أولا علي فعل ذلك ثانيا لأن المسألة تحتاج لتفكير طويل ولما كنت انسحب لقدرتي علي تخيل حدوث ذلك. أتصور تماما كيف يتم ثم ماذا سوف يحدث ، وجدت أنه لاشيء، شخص ومات وانتهي الأمر فعدت مسرعا إلي الخلف،ببطيء شديد

2- تتوقف عربات الكارو والباص والباعة المتجولين وأصحاب الأكشاك والماشين بلا هدف وقليلي الحيلة وأصحاب العاهات يتجمعون ويضغطون علي بطني.

ناقشت الفكرة ثانية وتأرجحت علي سلميتين من قلقي حين وجدت صوتي يرتفع والناس ينظرون ناحيتي مشيت تاركا خلفي. هدير البحر والنوارس الطيارة والمراكب الشراعية تغزوا أشرعتها وعدلت من الفكرة نهائيا ولم تزل عالقا برأسي طرقا أخري كثيرة ،

عندما جلست فوق المكتب. وجيء بالقهوة السادة كالعادة. دسست في البداية أصابعي في شعري الكثيف، تضايقت لأنه كثيف حاولت أن أركز واحترت فزعت ارتشفت فنجان القهوة في رشفة واحدة " أي والله في رشفة واحدة " ثم كتبت طلب الأجازة ووقعت الاسم بيد متعبة ابتسم المدير حين سألني عن صحتي سألته عن سر ابتسامته فتراجع للخلف من كثرة الضحك . فتضايقت وسألته عن الذي يضحكه اعتدل علي مكتبه راسما على وجهه شكلا جادا كاتما ما تبقي من نهنهات الضحك في أسفل حلقة وكتب بخط واضح. ( يسمح له بإجازة 21 يوما ) هأ ها هأ

3- أيضا كنت في اتجاه الشارع لا في هذه المرة الشارع كان الشارع في اتجاهي والفكرة في راسي تلح علي، تضغط بقوة .أن أقذف بنفسي في البحر كنت أحسب أن الأشياء تسير كما أريد تخيلت النمل والضفادع والصراصير والذباب والناموس وبعض من حشرات لا أعرفها , تتفرج عليّ توقعت أن يتغير أي شيء أن تصبح الشوارع نظيفة فجأة أو تطفح كلها بالمجاري ثم تقفز الفئران تجري تنط . امسك . أمسك . حاسب، فأر يطير في الهواء وعصفور يجري علي الأرض وكلب يبتسم ، أن تقع قنبلة أمامي الأن شيء عادي

في مثل هذه الأحوال عادة أنام لكني لم أكن أريد أن أنام كنت متناوما وأنا أمر علي كل المحلات المرصوصة أمام بعضها وتتحداني علانية علي المُشاهدة وذبول الناس أمام أسعارها الفارهة، لم أكن أجرؤ علي النظر ليس لشيء إلا أنه لم يكن معي فلوس وحاجتي لأشياء كثيرة . كبيرة ولكني أتوقع رغم توقعاتي السابقة أن تجيء المسألة هذه المرة بشكل مختلف.

قلت : سأقذف بنفسي الأن .كنت أراني طافحا فوق زبد البحر والخلق يتجمعون حولي وأنا أضحك . أضحك . أضحك سألني الرجل أين بنك مصر يا أستاذ؟
سرحت في عيونه البدوية الواسعة دون معني محدد لذلك فقط حدقت في جلبابه الريفي المفتوح من الأمام حتي منتصف كرشه المنتفخ المتمدد أمامه في استرخاء عذب أمام المبني الناصع البياض كانت تشير له يدي وهو يتابع باهتمام وفي الغالب كان الرجل قد خاف من نظرتي المتفحصة له. فحاول أن ينهي الموقف حين مضي ناحية الباب دخل مُسرعا مُخلفا ورائه ضجيجا ما فأسلمت نفسي للركض.

( 4 ) وكانت المرأة التي تضاحك صاحبها وتضحك , تناوشه وتضحك تغيظني فاغتاظ تنظر علي بجانب عينيها وتضحك تقول لي أنها سعيدة وهي متعلقة بيده ترفع شعرها تارة وتتركه تارة لازالت ملامحها تصطنع السعادة ولكنها تمسك بقوة في يد صاحبها كالقابضة عليه
حين يجيء صوت حبيبتي ناعما هادئا ساحرا .

ابحث عنها في الوجوه واقف كالأبله في منتصف الشوارع بلا معني
تقول لي : أحبك أقول : أحبها وتقول أن عيوني رائعة ولكنها متعبة، وأقول لها ولا يهمك فتبتسم لكنها تذهب مثل الذين ذهبوا .... تختفي دون أن تقول كلمة واحدة، كنت رغم ذلك مرهقا أردت أن اذهب للأكل أو النوم أو الراحة أو حتي لا شيء ولكني لم استطع غير أن أفكر فيها وأتذكر حوارنا الأخير كالأفلام الهابطة .
ولم أناقش لماذا لم استطع،
فقط أكملت المشي والملل.....
والمرأة التي ظلت تضاحك صاحبها مثيرة من الخلف إذا دققت تماما وبجانبي كانت القروية الشابة التي ظهرت. فجأة تسير هادئة دون أن نتعارف.
ما اسمك يا آنسة ؟ لم ترد .....
قلت لنفسي أن إحساسي الحاد بحبيبتي يمنعني من التزحلق بجانب عيني لمشاهدة أي شيء أخر. والقروية الشابة تتقدمني خطوة وتتأخر عني خطوة ولا توازي أبدا ولو مرة واحدة .
ما اسمك يا آنسة ؟
وحتى الأن المسالة لم تتعد حدود رأسي فقط ارتفع صوتي
قائلا : لأ
هكذا صرخت في وجهي ومضت مسرعة تلفت حولي بسرعة تأكدت تماما أن أحدا لم يسمع استرحت وخفضت نظري للأرض ومشيت كانت قدمي تسير أقل والبطيء

يعطيني قدرا كبيرا من الاستماع بمداعبة ما يدور برأسي ومن الهروب للذكريات القديمة . حينما قررت أن أترك الشارع كنت احسب أن الأشياء تسير كما اشتهي.
تأكدت أنني لم أكن خائفا من شيء
فقط هو إحساس عام غامض لم أتبينه ولا جدوى
وصوت حبيبتي اللاهث يجيء ناعما هادئا. شجيا ساحرا
تركت أصابعها تلامس وجهي الساخن
شعرت كأني أريد النوم فوق تموجات عينيها فوق ذلك البريق الذي يناديني في خفوت
تصورت وجودها في هذه اللحظة امتدت يدي للإمام أمسكت هواء قبضت أصابعي تعصبت أصابعي فوق يد أنثي تشبه حبيبتي تمام نظرت في عينها هي نفسها العيون ونفس هذه النظرة الساحرة كاد فمي ينطق كدت ألثمها وهي استسلمت تماما رفعت بها لأعلي وجدتها مليئة بشعر غزير وساعة اليد الرجالي تلمع في عيني، ضحكت بصوت عال ضحكت اعتذرت خجلت أنا أسف افتكرت إن ...
نظر إلـيّ رجل يشبه والدي فيه نفس الملامح والتقسيمات حتي التجاعيد والشعر الأشيب والنظرة الحادة فسلمت عليه بهدوء واتجهت كلي للبحر ...
في هذه اللحظة تماما تلفت حولي في ريبة ،
وكان توتري قد وصل نهايته المحتومة

# وجع الحلم

عَليّ...
ذهبت إليك كل النهار، وكل الليل، وكل ساعة وما لقيتك والقرية كانت تقف علي أصابعها وتغط في نوم عميق. لما يتسرب هواء الغيطان إلي المخادع في الليل الأسر، تطير النسمات حيث الأجساد الشقيانة تبقي هامدة حتي الصباح وأنا أقف.كنت أنتظرك...
أنتظرك دون معني سوي انتظاري لوهمك، سألت عن وجودك الذي يستفز وجودي، عرفت أن لك بيتا وأولادا.
سألت المراسي عنك والشطآن والبحر الغريب،

الأرض التي كانت تُعفر جبينك.
نعم أعرف ملامحك من قديم، تقفز في ذاكرتي وترن ضحكة عسلية في أذني. ناديت علي كل شيء فيك دون رجاء من وقوفي هكذا أمام أعتاب بيتك وصمتك الذي فتت نظرتي وتبرمي بكل شيء حولي.
وحيدا كنت يا علي وأنت تنام في زمن القياصرة، تسألني عن الأساطير القديمة، وعن غاب البلاد وزادها أسألك عن القطار الذي يحمل الناس في بلادي وهم يقفون علي الأرصفة.
وتقول ها هم الناس يسيرون يحملون علي أكتافهم أعناق وعلي أعناقهم رؤوس وفي رؤوسهم عيون وفي عيونهم وجع حلم يؤرجح الليل.
أي حلم يا علي قلت لي عنه وأنت القادم قبل وقتك والمُحال الذي عرفت
كنت تذبح الوهم عند أعناق المدينة وتوغل في الكلام،
ترفع عيونك لأعلى وتصمت.عرفتك منذ عشرين عاما نائما في قش الغيطان أو في ساعة العصرية عند أشجار الزيزفون والساقية التي رفعت الماء.. ترفع .يجرها ثور عتيد مغمض العينين.
لماذا أغمضت أعينهم يا عليّ ؟
-حتى لا يدوخوا !!
حين ناديتك، خفت، تراجعت كان شبح وجهك أمامي يرج أنحائي رجا يخضني خضا.
لم تكن هو أنت ولا أعرف متي بدأت مأساتي معك أعرف أنك كنت معي..
داعبتني وسرقت الحلم مني عند شجر الزيزفون، ذهبت أنا للمدينة التي سرقت النار من عُبادها.سرقت الآهات من الحيارى والمسكونين وأنت كنت تسرق الفاكهة من الغيطان تعطيني أنا الخائب ابن المدارس كما قلت.واحدة وتقول ذقها
علي.. جئتك.
علي.. جريت إليك ملهوفا، محملا بأريج بكر برائحة السنابل وتصاوير الحقول في عيني والطرق المتعرجة في فدادين القمح
سألت عنك.
في الريف البعيد هناك عند أعلي قمة للصمت ولتوحدنا، أعلي مدار للساقية وأبنية تتراص ببطيء شديد تصنع أرجوحة للغناء \غناء بدائي له طعم الثريد.
( طلعت يا محلا نورها شمس الشموسة...)
كنت أنظر في جباه الخارجين والأرض تنظر إليهم ولا تعرفهم، لا أنا أعرفهم ولا أنت فيهم. أصرخ من فرط وجعي لانتظارك،
وحدي أجلس..
نعم وحدي..

يقول النهار أنك لم تعد أخر النهار كما عادوا ولا حتي أخر الليل،
جئتك كل النهار وكل الليل وكل ساعة ..ما لقيتك..
يقول المساء: إنك هنا متوحد هناك.
أحضرت الفيديو وأشرطة من كل نوع وجلست في صحن دارك لا تخرج للناس، لا تري أرضك . مجعوصا تقعد علي أريكة من قماش حرير مفترشا كل شيء أمامك واضعا يدك علي الريموت وخدك الأحمر وجبهتك الناصعة. وأحزن لأني لا أجدك ولا أستطيع استخراجك من ذاكرتي من عنفوان صداقتي لك وحزني الذي ألمّ بك، أصابعي التي مرت علي تقاطيع وجهك المبلول زمان، لما انتشلتك من المدار الذي سقطت فيه، أستخرج تعاريج الأرض من قدميك ومن يديك. أتعّرف كل شيء فيك شيئا فشيئا وأبكي وأسألك.
أنت سليم يا عَليّ ؟
ومن يومها تقول أنك مدين بحياتك لي.
الأن لا أذكر فيك غير أمك والأولاد، الترعة وشجر التوت والبنت.
البنت التي كانت نحيفة وتحبك
كنت تقول أنها "رفع القشاية "
معك الآن امرأة ثمينة وفاكهة غير التي كنت تسرقها زمان.
اشتريتها من فلوسك وشعرك الأسود الفاحم شّاب ووجهك الأسمر ابيض بحمرة العز.
وكان القطار يحمل الناس في بلادي
حين سرقتني المدينة بما قالت عنك يا علي.
جئتك عند مدار الساقية الذي تعرف فوق تلك المساحة المستطيلة من حزن لا يجيء وشوق يخبط في جوانحي
يلم أثار لهفتي عليك ويرميها للمدى وأنت لا جئت. أبدا إلىّ
ماذا تقول يا عَليّ ؟
ها قد عرفتك عشرون عاما نائما في قش الغيطان
حين رفعت يدي وأنزلتها علي بابك الحديد...
أصّر الباب صريره الفاحم.
ونظرت في وجهي مستغربا.
وسألتني من أنت؟
رحبت بي كأي زائر لا تعرفه وفي عينيك سؤال لئيم
فردت يدك علي أخرها، كنت تنظر في دهشة لوجهي المتبسم لك ،
كان الناس في بلادي عارفين مواعيد القطارات التي تأتي من أقاصي الدنيا.
ولم تكن تعرفني يا عَليّ !!

# عائشة

حبيبي ..
المشكلة أني رأيتك حبة توت ناضجة وربما كانت هي مثلك وليس مثلي \ عائشة تعرفها وتعرفنا ، أنا سألتك وسألتها ولمست في وسط ذلك وجعك المستحيل في نبرة الصوت، حين فرشت الأرض حولي بالخضرة وماء النهر ..
لم استطع أن المس الزبد الذي كان في البحر , كنت اجلس إليك أنادمك وأفارقك بلا أية فكرة واضحة سواء عنها أو عنك كل ما قلته وعاينته معك , لم أزل أحفظه عن ظهر قلب ..
المسالة أني كنت أسمعك وأنت تعظ ولا تدخلني الهداية دعوت إليّ كتبك وأهديتها لي كي تهديني
لكني كنت فاسقا.
هل هكذا كنت ؟
مضيت في الأرض مدحورا .
ربما ليس ما بيننا سوي وجع تحاصره الظلال وعيونها العسلية الصافية
وحلم غارق في التفاصيل المذهلة لضوء النيون في الحجرة الفوضى وبقايا البيرة الخالية من الكحول وكلامك الطيب .
حبيبي .. اعرف .

(2)

المشكلة أني كنت واحدا معك وآخرون كنا معا .. لم ألمس الزبد في البحر ولا في الأرض ولا فكرة دخلت رأسي بدونك معي، كنت بيني وبينك تدافع عني معك لما تتسرب الذكريات

تلمس نـومي تمـر عـابرة علـي بقايـا وجودنـا ويحصـرني الوجـع والظـلال وأعتصـر معتصما معك بالحرم الجامعي .أسالك عن نهاية ذلك تقول بثقة سيكون هنـاك نتيجـة .
حين نؤمن بالفعل والتجربة
ربما كانت المسالة أعمق بكثير من تصورنا عما مضـي ومـا سيجيء حين أتصبب عرقا تحت القميص المكرمش ولا زال حد الذهول والدهشة والأحلام.
أحد الاحتمـالات الناضـجة لمـا يـدور بيننـا وهـي تصـرخ فـي الحـوار بـوعي حـاد كـي يستيقظ القلب من تجرعه تثقلني بلهفة عينيها كي احتضنها بروعة .
وأنت تفاجئني برنين صمتك علي ذاكرتي . كانت لحظة استيعابي لوجودنا هـي نفسـها لحظة الإيواء للحزن الجدلي في عينيها العسليتين الصافيتين .
مع أنك لم تقلها في أي وقت لكنـي أدركـك بكـل الحـواس وأنـت فـي أي موضـع .. هل تعرف ؟
عائشة عمري وقضيتي الحاسمة في العالم , تتداول لحظـاتي وغموض شـوقي وتعـود مسكونة بـي , ترمـي برأسـها فوق كتفـي وتنـام تنـام وعنـدما أو حشتني سـارعت لكـل الأماكن التي كنا معا فيها وكانت معي وأخذت الحوائط في حضني والشوارع ورأيت الأخريات اللابسات الجينز والقميص الفضفاض المربوط اعلي السّرة
لكني لم أصل إليها ولم أرها أبدا ثانية
الآخرون يمطون العبارات  حتـي التوحش ,كانـت تقـف فاتحـة قدميها كالرجـال رغـم حـلاوة وجههـا العنبـري تقـذف الكلمـات بشـفتيها فـى لحظـة التيـه , فـي شـوارع البلـد المستقر علي حالة الحزن الناضج .
غيـر أنهـا تحـرك عينيهـا العسـليتين فـي اتجاهـات عديـدة وتسـكنها الأنوثـة حين تلتقـي بعيني .
المسـألة أننــا نبيـل وعــلاء وسـعد المفتــي وزينــب ومحمـد وجـرجس وأنــت وأنــا .. والآخرون كنا معا . لم أصارعك علي شيء عمري سوي الحوار والضحك والبكـاء أحيانا ..لم افهم معني صمتك في الليل الفاحم الذي مر
كنت أعرفه حيث نكون بين المقابر و" كل نفس ذائقة الموت ".تقول
في نفس تلك الليلة الحزينة والأرصفة تمر علينا والعربات , ومنشورات سرية وقلق خفي ودهشة وكتمان وجو من الغرابة يسكننا . عائشة كانت بـألف رجل وكانـت بينـي وبينك
وأنت كتبت .. السماوات والأرض والظلال وأخفيت كل الحمرة في عينيك
سكنت بلا صـوت أؤكد لك أن مشـاعري اهتـزت وربـت وتنـازلت لـك عنهـا فـي اللحظـة نفسـها

وان كنت عدت كي اخطفها منك ثانية عائشة في آخر الليل، تطلب منكم أن تمشي معي لتؤكد وجودي البحري علي شطوط عمرها . تهتم بي لدرجة الطفولة وتسألني عن القادم .
حبيبي ..
المشكلة ليست في الرواية التي أرويها عنك لكنها في
أحبك .. نعم اعرف ذلك . أتجاوز الممكن في استعادتك لكنها كانت تلتصق بي ويديها الممدودة بين فخذيها دوما تؤرقني ولم استطع آن أروي لك شيئا عنها .
فانا ما زلت متطابقا معك في المداخل والمخارج
ومغروزا في الذاكرة معها
قافزة في الوعي المتموج . تثبت في عيني زلزال عينيها واقفة هناك في اعلي قمة لوجودي مع الصمت والبسمة الرائقة خلال حوار طويل مفعم بالضجيج والصخب .
تحدث وجودي معها وتستفزني كي تري عصبيتي الزائدة وتضحك لتفر مني
هي حبيبة عمري وأيامي معها حكاية طويلة جدا أعطيتها وجدي وحزني مباركا في يديها .
كانت هي نفسها ليست الجينز ولا القميص المربوط أعلي السّرة.شعرها المنكوش هادئا خملا، لعينيها نظرة قافزة للوعي والتهدج وبقايا الحزن في الشمعدان العجيب انتفضت ملاءة السرير ولفتها علي وسطها ونظرت في عيني وأنا سمعت الشيخ إمام يبكي في جزع ,كانت تستعيد أنوثتها معي .. تسقط التفاصيل واحدة . واحدة يبقي انتصارنا طموحا أزليا بلا معني سوانا يعكس صورتي المعلقة علي صدرها .
كانت هي نفسها بكل ما مضي من وجع في الأنثى الخام في شفتين هامدتين وعيونا مرهقة ووجها مفعما بالشاعرية، نهدان صارخان للامان في تحدي علني لأصابعي المتوترة، جسد ناضج فري ..
أعرف أن الوضع لا يعجبك، لكن المسألة لم تعد تخصنا . كنا والآخرون بلا أي وضوح في الحوار ..
كنت وحدك معي , تعترف لي بحبك لها،
منذ اللحظة الأولي ،
كانت الحجرة خالية إلا من أرفف مليئة بالكتب القديمة سرير وتراب /
جسد مفروش علي الأرض /
سجائر ملقاة في الأركان /
لوحات سريالية عفنة /
عناكب في السقف /
لمبة حمراء متسخة
وصوت الشيخ إمام وتفاصيل أخري كثيرة .

حبيبي ..
( شجر الليمون دبلان علي أرضه ..
فينك .. بيني وبينك أيام وبيعدو ..
والدنيا رحابة وقلبي حب الحب )

وعائشة لازالت بيني وبينك ولكنها تفاصيل قديمة

# مسابقة الظل

## 1- المتسابقان

كنت ممدا فوق السرير اقرأ بتمعن وكنت مستمتعا بالقراءة مشدودا للبطل وللضجيج الذي بالخارج مشدودا لصوت العراك بين امرأتين في الدور الأرضي . كان الذباب يحط علي فأهش وأقرفص القدمين .أشدهم منكبا علي البطل في موقفه الصعب . امسك.... رأسي، كان الذباب يجيء كثيرا ويلتف ويقف فوق اليدين وأصابع القدمين وأطوي الكتاب علي إصبع يدي وأهش بضيق والجو كان حارا .
. عند الصفح رقم 83 توقفت وتوقف البطل الذي كنت أضيق به وبالذباب , وضعت القلم مكان الأصبع نظرت للسقف . الذباب كان كثيرا عدت أمسكت بالبطل وهو يودع حبيبته كان يقبلها،
وكان الذباب يطير فوق رأسي يحط علي الرقبة النصف عارية فأهش .
وضعت القلم مكان الإصبع نظرت للسقف، كان الذباب متكوما، وهو ما زال يقبلها البطل . أمسكت الفوطة اضرب الهواء أفتح الباب علي أخره، يطير في الأركان وأنا أطير وراءه في الأركان يقف فوق اللوحة الخشبية فاضربه تسقط اللوحة فوق الصور وفوق رأسي
كنت مغتاظا /
أضرب بعنف، كان يأتي عند عيوني فأضرب نفسي أفتح الباب علي أخره، كان متمسكا أن أظل
البطل كان عنيدا
كنت متمسكا أن يخرج الذباب صمم أن يبقي متعلقا بالسقف، صممت أن اضرب السقف
توقف البطل عن الحديث سمعت البطلة صوت ارتطام رأسي بالأرض والقلم كان في يدي والبطل يجري وراء الذباب والبطلة كانت تبكي والبطل يجري ورائي وأنا أجري وراء الذباب وأنا أسقط في الحجرة وحدي .

## 2- أرض السباق

شددت قدمي إلي بعضها خوفا علي الجزمة اللامعة , دفعت للرجل جنيها كاملا في هدوء وثقة سحبت قدمي للوراء كنت جالسا وكان هو واقفا , زحف وراء قدمي بقدمه كان ضخما وهو منحني في السيارة الباص

مرة أخري يدوس فوق الجزمة انزعجت، تبرمت , طلبت منه أن يتأدب وأن ينزاح قليلا " هروح فين " وداس بقوة فوق قدمي .دورت برأسي شمالا ويمينا لم انبس بكلمة هذه المرة " تعودت أن أمسك الأفكار في رأسي وأناقشها

" هذا الرجل مصمم أن يدوس فوق جزمتي رفع قدميه قليلا، جربت ألا انسحب وأهاجم بشراسة مددت القدم اليمني لامست جزمته دست بقوة فوقها مُتعمدا لكنه لم يقل شيئا لم يكلف نفسه ويلتفت، دست أكثر قوة حين جاءت المحطة الأولي لينزل تنفست بارتياح , في نفس اللحظة صعد أخر واتخذ مكانه حاولت أن امدد القدمين زحف ناحيتي وبدأت الرحلة يدوس هو وأتراجع أنا ثم أدوس أنا ويسكت هو، الرجل كان يحمل الصندوق الخشبي ينظر إلي مُتنمرا بعدما انتهي من تلميعها ناولت له النقود بحرص مضي يخبط علي الدرج داس علي الجزمة ، شخط فيه زحف للأمام عندما انحرفت السيارة

عاد للوضع الأول . داس ضاغطا، نفخت الهواء بضيق

وعندما زاد الضغط قلت بحدة : حاسب يا أستاذ :...........

- " وأنا أعملك أيه " .

كان يدوس هو وأتراجع أنا طوال الوقت

## ( هو وهي وأنا )

**1**-في مواجهة حلم ما، أظل محدقا بعيوني الجاحظة المفتوحة علي أخرها وأتأمل كل ما يدور برأسي \ عيناي مشجبان كبيران يعلقان كل الأشياء وأنا أسير سجين . مُعتقل داخل الجدران ودائما ما أكون أنا في مواجهة هو ...
وتراجعي مستمر وطغيانه مستبد
والأتربة التي ملأت كل الأماكن حتي أرفف الكتب مميتة أشعرها تملأني وما زالت عيناي مضاءة . جاحظة مليئة بالوجع وحب السهر والنكات والجمل الغامضة التي أحب، هاتان العينان الكليلتان أفركهما. ادعكهما اقتلعتهما ألف مرة وأنا جالس في انتظار.. قهقه هو .... وهذا إل هو ...
غالبا ما أفشل تماما في رؤيته ليس ماثلا أمامي ولكن علي الأقل في ذهني.
**2**- وهي لما جاءت إليّ والصابون يملأ عيني،
رشرشت الماء الدافئ فوق الكتفين العريضين ، فسال عبر انحناءات الفخذين حتي أصابع القدمين
شعرت بارتياح شديد .
أغمضت كل شيء في لذة طاغية وزفرت زفرة كأنها خارجة لتوها من الضلوع
حين ملست علي ظهري .تبسمت
التفت إليها ويدها الحنونة تمر ببطء تنساب تسكن كهوف سحرية، أرتخي تماما وأستسلم ليديها متظاهرا بالنعاس،
وهذا أل.. هو ما زال بيننا
كان البحر مستعدا لالتقاطي في أية لحظة .
**3**- كل الأشياء الذهبية نادرة ويدي لا تمتد إلا لما هو نادر كان كل شيء يتكاتف علي منعي من المرور،
الشجر . الجدران . الطيور. الهواء. المزارع. العربات. الشوارع
الحزن الساكن في الأعماق صامتا صموتا لا يثور ولا يصرخ مرة واحدة، حين تطأ قدمي خطوة في اتجاه ما
فوق التراب تمر
فأراها شبح سراب
تبدأ تماما عندما تنتهي . فأبدا .
لأن المفروض أن أظل أمشي.........
أحب الشجر والجدران والشوارع
رغم أن العناكب الكثيرة تعلقت بجدران حجرتي نسجت خيوط عنكبوتيه تسللت إلي سقف رأسي نفسه.
وشحنته بخيوط غليظة ضخمة كيما أمر من بينها بقوة وأحيانا بعنف .

لكني نادرا ما أراني ممكنا

# رؤية لا زالت تتداعي

1-في الليل شاهدت رجلا يمضي
كان وحيدا مطأطأ الرأس.
امرأة هناك تنتظر سيارة لتركب .
تلتحف بنفسها من الصقيع ,
مطر خفيف يتساقط .
أقفلت أزرار القميص وأزرار عقلي .
حلم غريب لأخذها في حضني بضع ساعات يدور بي .
شعور دامس كالظلام يأمرني بالتحدث معها , ومناوشتها في مكان خال، رأيت ابتسامتها تفر
رأيت الليل والظلمة رأيت ويا ليتني ما رأيت

حين عانقتها عناقا مريرا وفاحما .
مضي كل شيء مع الليل الذي مضي..

طرحتها أرضا وبحرا وجوا وشرحت لها أسباب غزو نابليون لمصر وسبب سقوط أعضائها فوق جسدي , ومزقت كل ما مر بخاطري وغير ذلك مزقت
بدأت في خلع ملابسها الشتوية الكثيرة , غير أن الحمار الذي كان يسير بمفرده أوجس خيفة وريبة،
وأصدر صوتا مزعجا فقمت فزعا
تذكرت قهوة الشحات اللعينة والنرد اللعين ومبروك اللعين والجلسة اللعينة، مضيت ألعن كل ما مضي وما سيجيء " من عقلي الخاوي وحلمي الدفيء.

2- رأيت الغسق وتأملت ..

والشمس تسقط وتفلت . والشمس انكسفت وغابت تحت السحاب الأحمر مُتشظية ومر ليل نصف قمر فيه. وربع ناس, والثمن هو نصيب الزوجة لو كان لها ولد , وأن لم يكن لها ولد اعتبرت أنني ولدها ويحق لها أن تخاف عليّ كابنها وتحبني كأبيها وتعزني كأمها وتخنقني كعشيق خدعها وكسافل منحط ضحك عليها .. أراك مرة أخري يا أستاذ .. مع السلامة .
عند الفجر لم انتظر الشروق وبأن الخط الفاصل بين الليل والضوء , ذهبت , حاولت , نجحت أخيرا في إقناعه .. هكذا . بأن يذهب معي في المرة القادمة .
اقترحت علي نفسي أن أغير الطريقة وأبدأ من جديد وان اعتذر عن عجزي وغضبي حين سماعي نشرة الأخبار صدفة في دورة المياه
اعتذرت لأني لم أقرأ الجريدة التي تحبطني, واكتشفت أني شغوف بسماع آليات الصدق ولمس النهود الغارقة في الفحم المشتعل . شربت قهوتي ثم انصرفت
كنت حزينا عندما اكتشفت في الطريق أنني لم اقرأ الفنجان ...

3- في السيارة عندما بدأت أداعب صغيرها ابتسمت المرأة فابتسمت , انحنت فانحنيت، اقتربت فاقتربت ولمست فلامست . تحدثث فاستمعت قالت : وأنصت وأشارت بيدها .. واتفقنا

بكي الصغير فهوت عليه في حنان بالغ , تباعدت قليلا فرت بعينها بعيدا , التصقت بها ومررت بيدي فوقها وفوقه . مكسوفة تغطي بيدها ثديها .سكن الصغير ومص بنهم . غير أنها هدأت انسابت في اللحظة التي كانت اكتشافي الأخير أن طموحي أكثر مما ينبغي ....

# التعويذة

بدت المدرجات متساوية الأشكال، في متاهة كبيرة يدخلها المشاركين من أي مكان للوصول لنهايتها في أسرع وقت، في أثناء الانتقال يواجه المشارك عقبات عليه أن يتخطاها ليصل إلي النهاية،جلس أمام شاشة الكمبيوتر والفكرة تداعب رأسه، ينتقل من مدرج الذاكرة إلي مدرج التضحية أو السؤال ..لما سأله عن جملة تكتبها من اليمين كما تكتبها من اليسار، توقف قليلا ليفكر، أجابه أنها ( قلع مركب ببكر معلق ) تكتب حروفها من الناحيتين،ق ل ع م ر ك ب ب ب ك ر م ع ل ق ..........

أوقفته بعض المدرجات نتيجة لإخفاقه في الإجابات وأدخلته متاهة جديدة، كان عليه أن يسرع تاركا بصمة تدل علي مروره بالمكان،هكذا أخذته اللعبة، تفصدت أفكاره حول بعض البيانات التي قرأها مؤخرا

ففي تمام الثانية بعد منتصف الليل، كشف التقرير عن وجود مادة جلاتنية أرسلت للمعامل في حينها مَشفوعة ببعض التفاعلات الكيميائية غَريبة التركيب قيدت هذه الحوادث المروعة كحالة استثنائية تجتاح البلاد ،أخليت المدينة من سكانها وأصبحت من الأماكن المهجورة التي لا يجوز دخولها دون إذن من السلطات ، كان العدد الذي ذكره التقرير يكفي لأن يخيف أي شخص من الذهاب إلى هذا المكان كأنه مكانا مُعدا للموت غربان تعبث ببقايا لحم منسلخ في وضح النهار، غير أنه لم يعبأ بهذا التحذير وسط اللعبة ، سأل نفسه لماذا لا يجرب هذا الموقف الجديد في جهازه لم يكن يعرف ما يؤول إليه الأمر إذ لم يستطع الخروج من المتاهة اعتقد أن المسألة أكثر بساطه

حتي لو اضطر للضغط علي زر الإنهاء فيتوقف الجهاز وبالتالي تنتهي اللعبة غير أن ما حدث أن ارتبطت بذهنه أثناء اللعبة كثير من البيانات، ففي الليلة التي قرر فيها أن يصبح واحدا منهم، جلس في هدوء بعد منتصف ليل شتوي بارد أمام الشاشة محاولا وضع تصور نهائي لما سوف يقوم به،

كانت السماء في الخارج تمطر وهذه الحكاية التي رواها صديقه لازالت تلعب برأسه عن مكان خرافي لمدينة بعيدة قال لنفسه لم يعد هناك قصور مخيفة في العالم، هذه خزعبلات، ضغط أحد الملفات لفتحها ليبدأ الدخول إلي حاسوبه، شعر ببرد يلسع جسده قام من مكانه قافزا ليعد فنجانا من الشاي ،كان قد ازداد اتساع صوت المطر وهدير الريح في الخارج يَعوي مع سكون مُطبق وشعور يحوم حوله بوجود أحد يتتبعه، تسربت رعشة سريعة لجسده المتيقظ، صب الماء في براد نحاسي لامع مع نيران موقد مرتفعة أشعرته بلسعة خفيفة تسري في جسده المنتفض اقشعر بدنه لثانية وقف معها شعر رأسه، لازالت الحكاية نفسها وتلك الرأس المبتورة عن جسدها تمشي في الهواء .. تداعب مخيلته

كلام فارغ، ولا وجود لمدن الأشباح هذه
كان هذا هو الجزء الغريب في الحكاية إذ أنه علي أثر إشاعة تسرى كالنار في الهشيم، عن خروج كائن غريب الملامح وظهوره في بعض الأماكن من السماء
لما انتحب الأطفال فوق صدور أمهاتهن ،من هول منظره الغريب، رافعين أجسادهم فوق أطراف أصابعهم محاولين النظر بيّنا كانت النسوة تنوح ببكاء مخيف والرجال يدارون وجوههم، من كآبة الشكل وأثار نقر الطيور الجوارح علي أعضائه، كان المساء حزينا والبيوت صامتة تحني رأسها كامرأة عجوز مكسورة الظهر ولكنها تعارك الخوف بلا تراجع، يحفها المشيب، كان الخريف شجيا أثرا. والنسوة الجالسات أرضا يبكون بحرقة، الرجال صامتون بترقب وهلع، الزمان كان هادئا يتأملهم من مقعد الوقت العقيم والمكان ساكنا سكونا مُطبقا في نفس هذا اليوم خيم الظلام علي البيوت وترقبت الحلوق، الأصوات الناحبة ككل يوم،وصراخ أخر الليل، كانت تسمع أصوات غريبة، همس يتحول إلي فحيح، إذ يروي أن هذا المكان كان يحوي سرّا رهيبا مرعبا لم يجرؤ أحد علي قوله حتي بينه وبين نفسه، حين يسمع في أنات الليل الصامت أصوات مختلفة بعضها قرع عنيف علي الأبواب كأنها استغاثة والبعض الأخر ضجيج لا يُفهم منه شيئا والمنصت لهذا الصوت تصيبه لعنة في أذنيه وداء يظل علي حاله حتي يقضي نحبه، حتي أن الناس تركوا الأمر برمته دون محاولة لفهمه أو استبصار ما يجري من أمور دون سؤال، أيام وليالي يسري فيها الرعب في الأبدان ويتخفي الخوف في ثياب الماشين من مسافة قرب هذا البناء دون أن يمتلك

الجرأة علي مجرد النظر أو استرقاء السمع، حتي حين كانت تشتعل فيه الأشجار القريبة بمفردها، تسمع صراخ الغربان وخفافيش تحوم في الليل الذي تحيط عتمته بكل البقاع تظهر فيه البنايات كأشباح والوجوه كعيون قطط تموء كان مكانا مهجورا من ألاف السنين، غامضا ورهيبا دُفن به السرّ الذي بقي مجهولا حتى تلك الليلة البعيدة التي سكنها عويل الريح وشق طويل في السماء يظهر للعيان ونجوم تظهر وتختفي،كان الوقت قد جاوز منتصف الليل، حين ظهر هذا الضوء الباهر في عنان السماء وطائر بحجم هائل يطير، خلت الشوارع من العابرين أُغلقت الدكاكين بسرعة، بقت الكلاب التي تزوم في أنحاء الفراغ، طارت العصافير من فوق أعشاشها بعيدا في هذه الليلة علت أصوات خدش بالأظافر وعويل تقشعرّ له الأبدان..ظل علي هذا الحال دون متابعة من أحد خوفا مما قد يصيبه من جراء المتابعة أو محاولة الفهم

حيث في ظروف غامضة،مات ثلاثة رجال خلف هذا المكان وجدت جثثهم مشوهة المنظر، على وجوه أصحابها ترتسم علامات من الهلع والرُّعب وقتها أقرت جهات التحقيق أن الحادث لا تفسير له سوي أن هذه الجثث نفسها مشوهة لدرجة يصعب معها تحديد هويتهم أو حتى معرفة كيفية موتهم غير وجود عيونهم مفتوحة لا تنغلق وتشوهات لا حصر لها في باقي أجزاء الوجه والجسد وقد وُجد شيئا أكثر غرابة ليس له تفسير إذ كانت بعض الأعضاء مختفية من مكانها خاصة القلب وإصبع من كل يد هو السبابة مبتور من أخره أما باقي التشوهات فرفض المحقق ذكرها للعيان حتي لا يفقد من يسمعها أعصابه أو ينهار فقد وجد إلي جوار الجثث تحذير مكتوب بدم الضحايا علي واحد من جلودهم المسلوخة بمنع نشر ما يرونه أو قوله ومنذ ذلك الحين بدأت أشياء غريبة تحدثُ و أكثر من مرة وُجدت هذه الجثث ملقاة في الشوارع والأزقة بها علامات تدل علي الرعب الشديد، العيون تسقط في الهوس والتشابه، تنوح الأشجار وتبكى فيَسكنها الالتباس، يفيض الشك ويُفزع الناس، ينبجس في الغفوة يقينا يُحركهم في الصحو والمنام، يرقب من بعيد بخوف زحف المسافة والخطى/ العيون المتجهة خلفنا في صمت وسكون ،زلزلة الحوائط والسماء/ أغلق التقرير وأكمل اللعبة كان وقتها في مدرج الشعور،

.............................

التفت بسرعة ورائه علي اثر قطة تموء أمام باب شقته، أخذ نفسا عميقا، كان مواءها غريبا وشاذا، لكنه لم يعره انتباها حمل كوب الشاي الدافئ ومضي إلى الشاشة، منا نفسه بما سوف يفعل أخذ رشفة من الشاي ووضع الكوب في هدوء أمامه....انقطع التيار الكهربي فجأة وساد ظلام دامس ، أغمض عينيه وفتحهما علي أمل أن يري

شيئا ، تنهد بصعوبة خانقة هل كان لم يزل في اللعبة ،تحسس يبحث عن الشمعة التي وضعها تحسبا لهذا الموقف اصطدمت يده بأشياء كثيرة حاول أن يتعرف عليها وسط ظلام دامس استطاع أن يحدد بعضها أما البعض الأخر فكان له ملمس يختلف عن شكله تماما عاد بالكرسي إلي الخلف علي أثر نثار ضوء خلفه التفت إليه لكنه لم يجد شيئا، وقف في مكانه يبحث بسرعة عن أعواد الثقاب أو أي شيئا يمنح بعض الضوء كلما مرت الدقائق ترتفع دقات قلبه ويزداد خوفا مع ارتفاع صوت الريح بالخارج والمطر الذي يضرب النوافذ ، تذكر انه ترك أعواد الثقاب عند الموقد أثناء عمل الشاي حاول الخروج من الحجرة عبر ممر الصالة الطويلة،خبطت قدمه في احدي الطاولتين وسقط علي الأرض، زحف في الظلام مُلقيا جسده في أقرب ركن بين جدارين. تحسسهما بكفين مرتعشتين صاعدا لأعلي،وسط ظلام دامس، شيئا فشيئا يكشف نثار الضوء عن مساحة تتمدد لظلال جسد مذبوح، مفصول الرأس لازالت عيونه جاحظة ومفتوحة علي أخرها، انكمش لاصق الحائط مرعوبا، سمع ضحكة ترن في المكان ورأس يتحرك باتجاهه اقفل عينيه لثانية وفتحهما بسرعة ، كان الرأس يتجه ناحيته في هدوء، وهو يزداد انكماشا يتداخل في حائط غرفته ويزداد التصاقا، تأمله مُرغما مُسلطا عيونه علي هذه الملامح لم يكن يريد أن يصدق أنها نفسها التي يعرف كان الظلام دامسا، يحاصره الرعب والحزن ويتصاعد عبر جسده المرتعش سخونة طافحة ترتفع من أخمص القدمين حتى منطقة القلب الذي تسارعت دقاته يملاءها خوف يمتزج بالحسرة، هذه النظرة التي يحفظ هذا الوجه يعرفه، الحاجبان المعقوفان وبياض البشرة المائل للحمرة ونظرة العين أكثر رعبا، كانت الرأس تستلقي أمامه تزحف ناهضة علي ملابسه زاحفة فوق قدميه في هدوء وقد تجمدت أطرافه من شدة الرعب،لم يستطع أن يحرك أي من أعضائه لأبعادها، وصل الرأس المقطوع حتي منتصف صدره مالت علي جانبها واستكانت فوق صدره الذي يرتفع وينخفض بسرعة هائلة مد يد مرتعشة واهنة فوق الرأس المستلقي علي صدره المرتعش تحسس بهدوء مروع ملامح الوجه حاول إسبال عينيه دون جدوى كان هو نفسه صديقه الذي حكي له عن بلدته الغريبة توقف تماما وتذكر كلامه وهو يقول.................

في المدرج الثاني كان الوعي

......................

بدا كل شيء في هذه الليلة الباردة البعيدة ساكنا سكونا مُطبقا السماء كانت تمطر خفيفا وصوت الريح يعلو هديره، النسوة الجالسات يبكين، الرجال واقفون في صمت مترع ، أبقي وحيدا مع السماء.في أخر الليل \ شجر النخيل الطويل، أرض مفروشة بالبكاء والنشيج تغازل نفوسنا رعبا، تصطك الأبواب بجزع في شوارع يملاءها الخوف والرهبة ولا مفر لك ،لا هروب تستطيعه سوف يفتك بك ويسرق منك الأعضاء

حاول إفلات رأس صديقه من فوقه والهروب بعيد عنه حاصره من كل زاوية وصوته يرن في إذنيه، حتي عندما كنت مختبئا ومنزويا في ركن الغرفة،والمتاهة نفسها، أضم ركبتاي إلى عظام صدري ملفوفا عليهما يدان مرعوشتان واهنتان في شبه دائرة، حرصت أن أصحح الوقائع بيني وبيني، لم أكتشف شيئا جديدا ولم أصل أبدا للحقيقة.
رأيتهم بعيني حين انتشر ظلام وأحاط بجنبات الفضاء تخلل ذاك الرعد والبرق، سقط المطر بشدة ارتعدت الأرض والسماء اهتزت الأركان والجدران
في ذات المساء عَدوت خارجا أحمل رأسا في جسد ضيق لا يتسع، ينظر الآخرون إليّ بغرابة كأننا في مجاهل صحراء بعيدة. كنت هادئا، أنتظر بصبر أن أفهم، ربما تأتى مُصادفة أن أعثر على شيء حقيقي كان من الصعب أن أربط كل ما مر بذهني، كأن الزمن يتوقف في منحدر يملؤه الخوف والضجيج أفقد الحكايات، أتنازل عن جزء مني والظلام يحيط بالوقت.والمكان أرتعد من إغماض عيني لفترة ولو قصيرة، ، ثم أعود لأواصل ما كان ينبغي أن احكيه.يقتلني الشك ويؤلفني في الغياب، ولا أستطيع الصراخ،أشكالا من الصمت والحيرة /الارتباك والشك، دوائر مُتشابكة من الوحدة والغياب كمن يقف عاريا في الفراغ لا أجرؤ على الاعتراف بما يدور حولي في المتاهة نفسها، لست أدرى مَنْ أمسك لساني ؟ من منعني مِن أنْ أحكى ما رأيت لم أستطع أن أهُرب أية حكاية أو أروىّ تفاصيل المكان، كأنني جئت من التوحش والصحراء مَليئا بالخوف والتوجس أي فعل كان ينبغي على أن أفعله لأعرف السر/ وحالة الرعب الصفيق تهزني تتراص أمامي صور وحكايات فأقف مفزوعا دون أن أجرؤ على قول شيء خيوط رفيعة بين الوهم والحقيقة بعد أن هددوني بقطع رأسي وقفت مشدوها لم أنم وقررت أن أحكي حاولت وقتها أن أهدأ من روعه الذي شعرته في كل كلمة يقولها قلت له هذه خرافات لم يعد لها وجود....!
مضي من أمامي وهو ينظر إليّ بغرابة مشددا أن ارحل من شقتي بسرعة كنت اشعر انه يهلوس وانه قد أصابه مس شيطاني أو بتعاطي مخدرات لأن وجهه كان قد بدأ يميل إلي حمرة شديدة وعيناه جاحظتان أكثر من العادة وحمراوان كأنه بلا نوم لأسابيع في هذه الليلة نفسها قابلني الشيخ في مدرج الوقت قال كلمة غريب ومضي لم افهمها،وقفت طوال الليل في مكاني مذعورا، مر الشيخ بأصابعه النحيلة أمام عيني ؟ كان يجلس القرفصاء فى مواجهتي تماما يتمتم بكلمات لا أفهمها. يهتز على نغم لا أسمعه.ارتفعت رائحة المسك والزعفران وملأت أنفى كان يحكي عن المرأة نفسها التي كنا نعرف حين وقعت طريحة الأرض من هول ما رأت ويا ليتها ما رأت. إذ ظلت جاحظة العينين، ناظرة للإمام بفزع مُخروسة اللسان. تزوم بصوتها المحبوس فى الضلوع والمكتوم إلا من نظرة يائسة متحجرة تشير بأصابعها في محاولة لشرح ما حدث تقوم بحركات غير مفهومة بقدميها كالذي أصابه مس من الشيطان، غير

أنها لما شهقت شهقة طويلة جحظت عيناها بشكل أكثر ترويعا وأطلقت صرخة واحدة ولم تستطع بعدها النطق بكلمة واحدة غير صراخ متواصل لا أحد يعرف سببه، في الجدار المقابل سمعنا نفس هذه الصرخة المكتومة المتقطعة بدت كبكاء طفل لكن سرعان ما أخذت تتضخم لتغدو صرخة واحدة هائلة مدوية شاذة وغريبة أصبحت عويلا وعواء متواصلا يطلقه مزيج من الرعب كأنما آتية من الجحيم والحارة تطن عن أخرها، تعج بأقدام الماشين كأن الأصوات تتصاعد في جسدي، أترقب صوت نزيف عمري كفحيح الأفاعي تنبح الكلاب ويختفي الظل في أخر الرواق،أتلفت حولي في هلع ورعب وأعاود النظر ،أشاهد موتي في تابوت /كأني في الموت نفسه، أنام بلا أنفاس وصرخة عملاق يسكن فى أعماقي.تنهش أصابعه في جسدي الميت، نشيد مسكون بأرواح مختلطة ،مملوءة بصخب من الحزن الأليم، كان كل ما أراه ليل عقيم. ليس فيه نهار.

# الأحداث تسير هكذا..

1- من سيء لأسوأ....

وأنه كان الولد مرعوبا ومندهشا أغمض عينيه كيما يتسرب العالم من رؤيته ظل الولد متوترا ومنفلتا. منتبها لاصطكاك الريح في أذنيه سادا فمه بإحكام علي أسنانه يضغط يلملم الأحداث وهو مُمسكا بيد عمته الجميلة الشابة.

وأنه كان مرتعشا ومتوجسا ينبش العقل المغيب في الحضور البهي الطافح والمساء الناعس يداعب الجفون تحت الغيوم الرمادية الراكضة.يود لن يختفي وعمته الجميلة الشابة تحبه ويحبها وتعتبره ابنها وأنه كان الولد خائفا ومرتبكا يزاوج في الاتجاه الصواب الخطأ الارتباك الانفلات والليل يحضن الظلام الغارقة فيه البيوت والهواء يلفح الوجه الطري يغلق مصاريع النوافذ المفتوحة حيث كانت الجميلة الشابة عمته تُقبله في جبهته وفي عينيه.تحكي له.. هو الولد الصغير تحكي له ويستمع إليها منصتا وسارحا..

كان الولد مذعورا والريح أكثر هياجا جالسا أمام موقد النار والجو كان باردا والمطر نازلا يرخو علي السقف يدق حيث لم يكن في الإمكان غير ما كان.

الولد ينتزع اللحظات المهزومة ويختبئ لم يبق قادرا علي استيعاب المشهد كاملا..

حين كانت تواصل الحكي وهو يواصل الانفلات.

2- نعيد الحكاية ونبدأها من أولها..حين وقفت أمامه ضاحكة..

أمامه هي كانت واقفة .. لا

المرأة كانت تقف باسمة..

3- لنبدأ الحكاية من أخرها

حين وقف هو أمامها مرتبكا \

أمامها كان يقف ..

لا

كان هو أمام السرير يقف مُقطبا ومحمرا والارتعاش القشعريرة.النهم العنيد متسربا للجسد محشورا في التفاصيل .

لابد أن يقف \ أن يجلس \ أن يميل \ أن يتحرك \ أن ينام \ أن يستريح. استراح ونام.والجو كان باردا وهو يحب عمته الشابة وتحبه وتعتبره ابنها تقبله في جبهته وفي عينيه وفي...

ذلك الولد كان صغيرا وطيبا كانت تحكي له

هو الولد الصغير تحكي له .وهي عمته الجميلة الشابة ذات الضفيرتين المسدولتين علي كتفين ممشوقين .كان الحزن الجميل الباسم علي العيون السوداء الواسعة الشريدة.
كان الجو باردا والولد كان مرتعشا وعمته تعتبره ابنها \ وهو يحبها لأنها عمته وهو ابن آخيها.ولد صغير طيب في عينيه قبلة وضعتها وفي جبهته شفتان محمرتان لاذعتان تصرخان دفأ .
عندما توغل الليل في الظلمة أحاطت البيوت عتمه كثيفة ارتبكت المسافات واقتربت وزادت برودة الهواء .كان المطر يرخ وعلا صفير الهواء وزاد الارتباك إلي قمته.
كان الجسد المحروم ينتحب موقد النار يفور والولد كان مرتعشا لما اهتزت الأعضاء الشفيفة انتفض الليل الخريفي واقشعر بدن الولد الساذج.
وهاجت الريح في الخارج وزامت الأشجار والأوراق تداخلت والمطر نزل نقط كبيرة /كبيرة .العيون الواسعة الحزينة متوقدة انتفضت أجزاء العمر من رقدتها الطويلة.في الليل في العراء في البرد في الصمت في الخوف في الحزن في المطر ..في البيت في الحجرة حجرة النوم.
حجرة للنوم البدائي.حجرة ضاحكة. أربعة جدران وسقف وضوء خافت /خافت. كان الولد وعمته ولد طيب أو ساذج صغيرا كان يرتعش.
4- أكدنا ألف مرة..
أن كان الجو باردا جدا وعمته كانت شابه وجميلة تحبه ويحبها والولد كان صغيرا وطيبا أو ساذجا.
وأنه كانت عمته أمام السرير .. لا
أمام المرآة .. لا
عمته كانت واقفة مفرودة الضفيرتين وتبتسم..
الشعر يسيل سارحا في انتفاضة جسد عفي.. جسد لعمته التي قبلته في جبهته وفي عينيه وفي.تحكي له ويسمعها.. هو الولد الصغير تحكي له.. وتعتبره ابنها تنساب الملابس باسمة تتحسس الجسد العفي.
هو ابن أخيها وهي عمته ذات الحزن الجميل المستريح علي العيون المستريحة الواسعة الشريدة.
كان الولد طيبا وصغيرا \ خائفا ومرتعشا \ مرتبكا ومتوترا.
الجو كان باردا المطر كان نازلا والضوء كان خافتا/ خافتا /خافتا.
الحجرة حجرة للنوم أربعة جدران وسقف وسرير فيهما كان الولد وعمته.
الارتعاش \ الانتفاض \ القشعريرة. الوهج العنيد متسربا للجسد
ولد صغير طيب يرتبك.
وسرير تقف أمامه عمته.. لا

أمام المرآة كانت واقفة .. لا
الملابس انسابت والشعر سارحا في شغب يناوش الجسد الطازج.
جسد عمته التي ابتسمت للولد الذي يحبها كان يداري العيون الخجولة حين تُلقيه في الليل العبيط ..
كان يتداخل في البنطال \يداري قفزة غبية..
كان الجو باردا المطر غامضا الليل متسكعا.
الريح هائجة في البيت المخادع في حجرة ضاحكة، حجرة للنوم البدائي، أربعة جدران هازئة وسقف هامس وضوء خافت/ خافت.وحروف لا تخرج أبدا من فمه المسدود.حنجرة لا تبلع الريق.
كانت تحكي له ويستمع إليها هي تواصل النزف وهو يواصل الانفلات الهامس. الهمس. اللمس تمسك يدا واحدة متلهفة تمسك اليدين مرعوشة، يغمض العينين تحمر الأذنان تتداخل حيرته في البنطال كان ولدا طيبا أو ساذجا أو كان خائف.. لا يهم.
حين الارتجاف الانتفاض الذهاب الإياب التداخل الصميم.
لأنه كان الجو باردا كان الولد مرتعشا.
ولأنها هي عمته الجميلة الشابة كانت تقبله في عينيه وجبهته وفي... تقبله الجسد كان ينتحب ذلك المحروم مرتعشا يبث وهجا ليليا.
تباغته تفاصيل الحركة السريعة المرتبكة يخرج من شفافية الحلم
كان ولد صغير طيب وارتعاش وقشعريرة وحيوان عنيد متسربا
أمامها كان واقفا.. لا
أمامه كانت واقفة..لا
كانت هي تواصل النزف وهو يواصل الانفلات...
غير أن الجو كان باردا
نعيد الحكاية ونبدأها من أولها......................

## الفهرس


1- حارس الليل
2- ثلاثة أيام قصيرة
3- الحصار
4- حلم الذاكرة
5- النهر الإله
6- أكذب يا أبتي
7- الفقراء لا يدخلون الجنة
8- أقذف بنفسي إلي البحر

**9-   وجع الحلم**
**10-عائشة**
**10-مسابقة الظل**
**11-هو وهي وأنا**
**12-التعويذة**
**13-رؤية لازالت تداعي**
**14-الأحداث تسير هكذا**